***تقديم ..علي مولا***

***شبكة ليلاس الثقافية***

**الحرية في الإبداع المهجري**

**: د. هيثم مناع**

**أتعرف بعمق على كنوز الأدب المهجري في أمريكا**

**صديق المهندس صخر الشرع الذي قام بما في وسعه**

**القيام بهذا العمل والعثور على ما احتجت إليه. ولا**

**شكر للسيدة فيوليت يافث رئيسة المشفى السوري**

ور ضاهر قطيط مدير المشفى والسيد لورنسو

عمال السوري والسيد Guillermo P. Pedrazuela

مكتبة نادي حمص في ساو باولو وهيئة إدارة النادي

هم وحسن تعاونهم.

تتوحد فيه الثقافة ويتجلى الأدب العالمي على

لأول مرة في التاريخ. عندئذ سيعلم الذين يخلفوننا،

قي لا يحد بالمناطق، وأن الشعر الصحيح لا يعرف

د فيها. عندئذ سيذكر العالم بكثير من الإعجاب

بلابل الشعر قد صدحت بنغم لم يسمع أعذب منه

ه إلا عدد ضئيل ممن اتيحت لهم معرفة اللغة التي

لشعب. عندئذ يأتي نسيب عريضة وإيليا أبو ماضي

يرهم من شعرائنا العرب المهاجرين في ملكوتهم إذ

إرثا للجميع وتباح خزائن الأدب والفن في كل لسان

حبيب إبراهيم للأرواح الحائرة لنسيب عريضة،

، مطبعة جريدة الأخلاق.

## روح الحقبة

ة العثمانية في القرن التاسع عشر هزات كبيرة على سية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. وإن كانت ومي قد بدأت تغزو شطر الخلافة الأوربي مبكرا وكان ل زرع أول وحدة إدارية ذاتية متماسكة في الشطر ، فقد كان لإعلان دستور 1876 والإصلاحات المتتالية ى امتداد النصف الثاني للقرن الماضي أن تعزز اتجاها شمل العديد من رموز الانتلجنتسيا العربية مثل أبي شيخ علي الليثي وسليم تقلا وخليل مطران وسامي

طفى كامل والشاعر أحمد شوقي الخ. ولم يكن هذا

ي صفوف المثقفين، فمنهم من أخذ بموقف معاد

ني خاصة بعد تراجعات السلطان عبد الحميد السريعة

لتوجه البرلماني والأزمات المستفحلة في جسم

وحدة عربية جامعة. ومن هؤلاء سليم سركيس صاحب

" الذي يقول في مقالة له بعنوان "هل مصر

حياتي ولا قرأت في مطالعاتي عن أمة تريد الانتقال

لال إلى ظلمات العبودية إلا هذا القسم من الأمة

يريدون التمسك بأذيال العرش العثماني". ويقول في

و صلاح الترك قد        خابت أمانينا الكواذب

دولة ظلمت ولـــــيس العدل عن ظلم بذاهب

أن الاتجاه الأكثر قوة وتأثيرا كان ذلك الذي يجمع

الخلافة وضرورة الإصلاح من جهة، "وتحالف الأمم

متينا جدا حتى تستطيع أن تسير مع التيار الغربي

يستطيع أن يهتضمها"(1) من جهة أخرى. ولعل فرح

مع في كتاباته بين نداء حقوق الإنسان والحريات

خة العدل ومفهوم الأمة والوطن مع نداء تقوية جدار

ية في مجلته "الجامعة العثمانية" التي صدرت في

1897 يعطي مع جرجي زيدان وولي الدين يكن

لتوجه. وهكذا نجد عند يكن قصائد في محبة الوطن

الاستبداد كقوله في وصف الحقبة الحميدية:

ضى عنها خلائفها          من آل عثمان من سادوا

ومن شادوا

لمجد للأخلاف بعدهم          والمجد يبقيه للأخلاف

أمجـــاد

ت لأمير في تسـلطه يخشى مظالمـه عاد

وشـــداد

بكـي لنا وطنا يبكيه في الترب آباء وأجـــداد

د من شعراء بلاد الشام مدح الخلافة العثمانية (2)

باء وشعراء العراق من هو أكثر نقدا. فنقرأ لجميل

لمقتطف" قصيدته "الصارخة" وفيها:

أغنــام يحد لهم ولاتك المستبدون السـكاكينا

لتفاتا منك يسعدنا يا عدل إن ابتساما منك يكفينا

الشر إلا من تهاوننا وعمنا الظلم إلا من تغاضينا

ك ما قد شّد من عقد كف الإسار بأيدينا بأيدينـا

صيدة التي استتبعت نفيه من العاصمة العثمانية في

دولـــة همجية تسوس بما يقضي هواها وتعمل

از من كان جاهلا وتخفض بالإذلال من كان يعقل

الشعب أطماع ظالم يحمله من جوره ما يحمل

فوضوا أمر نفسهم إلى ملك عن فعله ليس يسأل

م مدحت باشا ولاية الشام قد ساهم في ازدهار حركة

صلاحية، فقد جاء نقله إلى أزمير في 1880 وما

ة على أنصار الليبرالية والدستور في وقت احبط فيه

وفاة أول دستور عثماني وتصاعدت فيه الأزمة

نار من ضاقت بهم أسباب العيش أو التعبير الهجرة

صاحب "المشير" بالقول: "هم إخواننا في الإنسانية،

حرية، علموا أن المجد لا ينال إلا عبر جسر من التعب.

ي السعي وراء خدمة بلادهم وإرجاع مجد مملكتهم

دركات الخمول بإهمال الإمام الذي جار في أحكامه

صاروا بلية على الأمة". ويضيف: "وقد انضم إليهم
يا ومصر وهرب البعض منهم من عالم الجور والظلم
ة والأمن، فانتشروا في باريز وسوريا وانكلترا
ا الجرائد"(3).

ناهضا للعثمانية عند فتح الله مراش ورزق الله
يه فارس نمر: "فهذ1ن الحران الحلبيان اللذان فاقا
حرية كما فاقا الأقران بمعانيها السحرية ومبانيها
ا ردحا من الزمن يرسلان شعاع الحرية إلى أبناء
أعظم عاصمتين اشتهرتا في أوربا بالحرية
ستورية (أي لندن وباريس) ولكنهما مزجا بلاغتهما
بين الترك والعرب فأصابا بإيقاظ النفوس لطلب
تمزيق الجامعة العثمانية"(4).

العثماني في 1908 ليهز المواقف من جديد، وتعود

**خلافة في مواجهة أوربة ويكتب نقولا حداد بعنوان**

**اني":**

**ثمان أنتم أمـة     أصبحت موضوع إعجاب الأمم**

**العدل تاريخا لكم     طبـع المجـــد به منذ القدم**

**لة الماضي وقد     كتب المــوت عليها "لا رحم"**

**لافة العثمانية مع الدستور بفترة إعادة اعتبار**

**عة فنجد أبناء المهجر يعودون للحديث عن أمل إصلاح**

**لخلافة ويخصص جميل معلوف دراسة عن "حقوق**

**الجديدة" ويغني سعيد شقير للحرية المستعادة**

**حرارا بفضلكم     نغدو ونمسي ولا هم ولا نصب**

**الحر من سجن أهين به     وعاد للوطن المحبـوب**

مغترب

ى نخشى من وشايتهم      ولا جرائـــد تأتينا فنرتعـب

ل لا الأحلام تقلقنا      وننهض الصبح لا خوف ولا

رعب

الله يرى في عصبة الأحرار المنقذ الذي حقق آماله

العامة:

دل أخوانا سواسية      فليس يظلم فيكم غير من

ظلما

ى أديب عن مواطنه      ولا يضام عليم قال ما علما

حق من حقوقكم      ذو سلطة جائر مهما علا وسما

ول:

ة في الأرض واحدة      من آل عثمان لا عربا ولا عجما

م أجيالكــم فرقـا      ولا تقسمكم أديانكــم قــسما

م بها أسرى وكم سفكوا      دماءكم أو أحلوا فيكـم النقما

سيف الحق صاحبه      وهاجم الظلم حتى فر منهـزما

خ والقسيس واصطحبا      من بعد ما افترقا ضدين واختصما

ى الدستور واتحدا      ورفرفت راية التوحيد فوقهـما

ستور عند الأغلبية الساحقة أبواب الرجاء وعمت مسحة
ب وجد فيه برنامجه وطموحاته، وكل أراد منه تحقيق
جع أوهام الانعتاق السياسي والقومي والثقافي
ب تتابع ولم يعد بوسع المتفائلين إلا النقمة على
رغبة القطيعة مع ما تبقى من الخلافة.  ولعل الفارق
ية الحرية" التي يغني فيها الشاعر القروي لإعلان
دته بعدها التي يستدرك فيها عدم وقوع تغيير يذكر

فيها:

صره الدستور لكن كما طلعت على الأعمى ذكاء

ي الدوائر واختلال وظلم في المحاكم والتواء

إلى الحكام شكوى فأذن العدل يزعجها النداء !!

يروت أمن واتحاد وفي لبنان نهب واعتداء

ركزي في التعامل مع الخلافة منذ دخول ابراهيم

، بل ومن قبل، يلخصه رزق الله حسون ببيت شعر

م لو عاملونا بحسنى وتساو أو أنهم أنصفونا

ن العرب يطالبون بالحسنى والمساواة والإنصاف..

هم ابتعدوا عن الخلافة مع بقاء قسم هام منهم يرغب

الوحدة الجغرافية القادرة على مواجهة الاستعمار

حتضر وحقبة تندثر وقف فيها صاحب "النبي" جبران

ن لم يفقد حاسة السمع بعد:

سلمون، كلمة من مسيحي أسكن "يسوع" في شطر

"محمدا" في الشطر الآخر!

الإسلام على الدولة العثمانية، فسوف تتغلب أمم

سلام..

كم من ينصر الإسلام على عدوه الداخلي، فلا ينقضي

الشرق في قبضة ذوي الوجوه البائخة والعيون

)

## سفر برلك

نتوقف كثيرا عند روح الحقبة وخصائصها السياسية

تصادية لو لم تكن وراء توجه عشرات آلاف العرب إلى
ن القمع والجوع وبحثا عن الكرامة في عوالم جديدة،
أبناء مجتمعات عضوية بالأساس ولجتها معالم
بية حديثا ولم تعرف التفريد بشكل واسع، وبالتالي
وافع كبيرة جعلت قطاعات شابة تؤثر مغامرة الرحيل
كبرائها منذ الصغر "الغربة كربة" والبعد "قطيعة

هجرات الأولى تعبيرا عن هذا الطموح الباحث عن
عد أن ضاق المشرق بهما، ولم تكن مرصوفة
في كتاب "ذكرى الهجرة" لتوفيق فضل الله ضعون،
ه إيلي كازان "أمريكا أمريكا"، فالفارق لا يكاد يذكر
طنبول ووسطاء بيروت.. أشباه الفنادق التي ليس
لاسم والباخرة التي تتأخر حتى لا يبقى في جيب

خراته ما يذكر والمعبر الإجباري إلى مصر وجوازات
ة والمزورة.. الأوجاع هي الأوجاع وأدب الاعترافات
ك دخائل النفس والصفحة المجهولة ويذكرنا بتفاصيل
لتي تغطيها الإنجازات أو الهزائم الكبيرة. فبين فشل
هناك ليالي العمل الشاق بحثا عن اللقمة ووساطات
م بحثا عن ورقة الإقامة وقراءة الحقيقة المرة
لاوعي اليقظ: "نحن هنا في مهجر لم يؤمه في
ظلوم معدم سعيا وراء الرزق والتماسا للتحرر من
والفقر، ومع ذلك ندر أن يرى بيننا المستطلع إلا كل
ا في وطنه فأصبح، أيا كان، خادما للناس في مهجره
على المهاجرين الذين استبدلوا من بهاء العروش
دلا من أن يغدق عليهم المديح لعلو همتهم وحسن
م جحيم الغربة على نعيم الإقامة في وطن كان ولا
يمة ولأبنائه جحيمه"(6) .

بعض يجمع قليل المال ويعود والبعض الآخر يسمع

ني فيركب الباخرة شطر الوطن ولو أن فكرة البقاء

ن لم تناقش بجرأة ووضوح حتى مطلع القرن قد

ظروف الحياة نفسها بكل ما تحمل من ولادة جيل

الوطن سوى أغنية والدة حنون أو أنشودة شاعر.

أسباب والاحساسات المرافقة لها:

سماحه على غياب الحرية في بلده يقول:

رض الجدود ففيها    حياة الجبان وموت الجرئ

لام أحـــرارها    وتطلق أيدي ذوي الميسر

في الأرض لا خائفا    من البر أو لجج الأبحر

يكتب ابن قرنة الحمراء (لبنان) إلياس طعمه

:(7)

تي نمزج دموعا أبية     فكل غريب آنس بغريب

الناس حسن بلائنا     وكل اغتراب للشقاء جلوب

شقي المرء نفس أبية     وقلب يرى لذاته بندوب

ن يجلو الخطوب بحزمه     ففي الخطب تجريب لكل لبيب

وأهوال غربتي     بقلب منيـر في ظـلام خطوب

المجد تستعذب الردى     كنسر لأصـوات الرعود طروب

سيري على الأرض تائها     ونومي وحيدا تحت ثقل كروبي

مي للمهالك طالبا     دواء لــداء فيه حـار طبيبي

ين الجوانــح دونها     تحدر ســـيل واندلاع لهيب

ر دمعـــة وتحية ... إذا كان هذا في الجهاد نصيبي

الأسفار لا أنس وقفة ... على بحرنا والشمس عند المغيب

ا وأودعها الهوى ... وكفي بكفي صــاحب ونسيب

من خلال مدامعي ... إلى جبل باد الصــخور مهيب

مي الحنون وراعها ... دنو وداع كالحمـــام رهيـب

وت ذائب متهــدج ... وأدمعها موصولــة بنحيـب

الله هل لك عودة ... فراقـــك هذا يا بنـي مذيبي

منا تحت سقـفنا ... فمثلك لم يولد لصعـب ركوب

جفن يكتــم عبرة ... سأرجع يوما فاصبري وثقي بي

اها ربيـــع بلادنا ... فأطربـنا منها حنــين سروب

ي بعد نأي ألـذ من ... تخلف حـــب بالملال مشـوب

لمجـد يا أم حقه      وأقض شريفا مثل جار عسـيب

سر بسط جـناحه      إذا الريـح حيّت وكره بهبـوب

...

دي وأمي وأخوتي      وقد بـات يشقيهم ألج طلــوب

شـرق في فتياتنا      فإن تبصــــري أجفانهن تذوبي

حاملات لشمسـنا      فأحداقهـن السـود حب زبيب

موجا ونارا فلم نكن      لننجو وقد حاربننـــا بضروب

ب الحرائر مهجتي      فهن كروض في الربيـع خصيب

عاصمة فنزويلا يصّدر جورج صيدح ديوان النوافل(8)

لة التالية: "غاية الناظم من طبع هذا الديوان مناصرة

ى فلسطين فهو يضعه تحت طلبها تتصرف به كما

شاعر الباخرة الماخرة به عام 1927 إلى أمريكا

هم- لا خير في وطن ننآه ثم نغـالي فيه نائيـنــا

رام طـاب منزلها إلا لنا، فهي تجفونا وتقصــينا

ين لم نجد رحما يحنو ويعطف، ماءا كان أو طينا

حملتنا حمل كارهة تود لو ظهرها لليـم يلقينــا

حلمت أني قريب منك يا بردى" يصيح عاشقا إبداع

بك الشفاف لاح به ظل المآذن والأشجار مضطردا

ث وثابا ومقتحـما كالأفعوان تلوى، كالغزال عدا

ظتي أهواك في حلمي أهواك مقتربا أهواك مبتعدا

رك بعد الهجرة والمهاجر حيث لا العين تبصر دمشق

يا نهر مأساة عمري

عادت، ومازلت تجري

ما أنت يا نهر نهري.

سان باولو

عربي لمدينة سان باولو في 1905 يقول(9): أنشئت
1554 مؤلفة من دار فيها مدرسة لتعليم الهنود
سوعيين. وفي 1560 بلغ عدد سكانها من الرجال
هندي فسميت قرية. وفي 1711 بلغ عدد سكانها من
ل فأطلق عليها اسم مدينة. في إحصاء 1793 بلغ
99 نسمة يعيش منهم 5669 في وسط المدينة و
رب و 659 ناحية الشرق. في 1807 لم يكن عدد
ى العشرين ألفا بإضافة بعض القرى المجاورة. وبعد
في 1822 (اعترفت به البرتغال بعد 3 سنوات) ازداد
لغ في 1862 46 ألفا في سان باولو وملحقاتها.

ل السوريون للمرة الأولى المدينة وكان عدد سكانها

5 أو 6 من السوريين. بعدها نمت بشكل كبير وقصدها

جانب.

كاتب السطور سان باولو وكان سكانها قرابة 100

ة 100 سوري كلهم كانوا يقيمون حول المركادو ما

ل في شارع 25 دي مارسو.

ع عدد سكان المدينة 300 ألف نسمة منهم 200 ألف

دينة حاملين الفنون والآداب والمهن وأسباب التمدن

يمهم كما يلي: 150 ألف إيطالي، 100 ألف برازيلي،

15 ألف برتغاليون، 10 آلاف ألماني، خمسة آلاف

ت مختلفة : 2000.

فارس سمعان نجم وعندما أعاد نشره توفيق ضعون

الجديد" في سان باولو عام 1922 وضع الملاحظة

ان سان باولو اليوم 550 منهم 15 ألف سوري. أما

المقطع في عام الألفين فقد بلغ عدد سكان المدينة

ن السوريين (استكمالا لروح النص) 19 مليون نسمة

ولا يستطيع أحد تقدير عدد السوريين واللبنانيين

يها. إلا أن من المتفق عليه أن عدد سكان حمص في

نهم في مدينة حمص نفسها وأن هناك أكثر من 4

ي البرازيل اليوم.

ب للمدينة الكبة والصفيحة الموجودة تقريبا في كل

سريع وحسب، بل كانوا من أنشط رجال الصناعة

من وصول أسعد عبد الله حداد سان باولو قادما من

1912 عقد شركة تجارية مع صديقين له وفي 1912

متر مربع ليجري بناء حي جديد (حي حديقة سان

مى الجادة الرئيسية في شارع سورية Rua Siria

القروي المصح السوري في كمبوس دي جوردان

ابين بأمراض الصدر من سورية ولبنان يعالجون فيه

ى عصر العجائب، فهذه معجزة مزدوجة من معجزات

سيات. أقول مزدوجة لأنهن أولا أنشأن مصحا سوريا

جعلهن لبنان على مسافة 215 كيلو مترا من سان

ستزرع الجالية المشرقية العربية بصماتها في البناء

عيات الإنسانية والنتاج الثقافي بآن معا، لتصبح جزءا

ار المدينة.

ول جيل التواصل الدائم بالوطن، إلا أن البرازيل بلد

عل بين الإنساني دون ادعاءات ومنذ 1922 يقول

ي حديثه عن الجالية السورية واللبنانية والفلسطينية

ف بالسورية: "لا يوجد إحصاء يعول عليه، ولكن

الخبرة مجمعون على أن عدد السوريين في البرازيل

ين ومئة ألف، وهناك عدد كبير منهم من أرباب

ترنوا بسوريات أو وطنيات وأصبحوا آباء لأولاد

مهم أن يعرفوا عن سورية شيئا، وهناك كثيرون

ة البرازيلية وكادوا يقطعون كل علاقة تربطهم

ى لأنهم أصبحوا مقيدين بالبرازيل بربط غير قابلة

مادية وبعضها اجتماعية"(11).

اليوم أن نسبة من يتكلم العربية قليلة جدا في سان

ود نواد وتجمعات كبيرة وهامة. ووفقا لرأي العديد من

كن التأقلم البرازيلي وحده سببا في هذه القطيعة.

حف العربية والمجلات والنشاطات الأدبية متميزة

وبدأ التراجع عمليا مع تراجع النموذج البرلماني

سة العسكرية للحكم وتغييب الحريات في النماذج
صلت للسلطة. حيث الافتخار بالوطن أصبح رديفا
تورية بغيضة ومكروهة في أوساط الثقافة في
وجاءت الحرب الأهلية اللبنانية لتضرب في الصميم
ي والإبداعي مع المشرق الذي أصبح أنموذجا سلبيا
التي أدارت له الظهر بمرارة. ولكن قبل هذا الطلاق
ن الآباء والأجداد من المهاجرين طرفا في المعركة
كانوا طرفا في المعركة الثقافية. وفي كلا المعركتين
شودة المهاجر الأولى، فلأجلها غادر الوطن ولأجلها
أجلها بقيت العودة حلما دائما.

سان أو البحث عن الذات الصغرى والكبرى

مجموعة الرابطة القلمية لسنة 1921 يقول ميخائيل

كل ما نفعل وكل ما نقول وكل ما نكتب إنما نفتش

ن فتشنا عن الله فلنجد أنفسنا في الله. وإن سعينا

نما نسعى وراء أنفسنا في الجمال. وإن طلبنا

لب إلا أنفسنا في الفضيلة، وإن بحثنا عن مكروب

ن أنفسنا في المكروب وإن اكتشفنا سرا من أسرار

ن إلا مكتشفون سرا من أسرارنا. فكل ما يأتيه

ور حول محور واحد هو-الإنسان".

الكونية المجردة، يعود نسيب عريضة إلى طرح

تالج نفس كل مهاجر: العلاقة بالمكان (اليوم)

ن (الأمس)، وفي نشيد المهاجر يصرخ بنفسه شعرا(

ن أنت- ما أنت؟ قد وزعت روحك في

عهدين من شاسع ماض ومن داني

أنا المهاجـــر ! ذو نفسين واحدة

تسير سيري وأخرى رهن أوطاني

لسؤال إلى وجع الحنين الذي يغفر للوطن كل الذنوب

حلم، بل حتى يعلن عن عشقه له بكل علاته:

أنا المهاجر- لا أنسى الوداع وما

جرى من الدمع في أجفان غزلان

ولوعة في حشا الأحباب ما بردت

عللتهـا بلقاء .. رهن أزمـان

مرت ثلاثون- لم أنس العهود وهل

تنسـى مواثيق أرحام وإيمـان

الأهل أهلي وأطلال الحمى وطني

وساكنـوا الربع أترابي وأقراني

قد كنت اشتاقهم والعين تنظرهم

يا عظم شوقي على بعد وهجران!

إن أنكرونا فما والله ننكرهم !

وإن جفوا لا نقابلهم بنســـيان !

نحبهم كيفما كانوا وإن ركبوا

مراكب الهجــر من آن إلى آن

ت الحنين وحدها الحكم عبر اكتشاف المبدعين

ـهم في عالم الغربة. فلعل أقوى النصوص العالمية

دود القوم والعشيرة والتراب الوطني تترعرع في

ف المتبادل للعالم الخاص عبر نظرة جديدة تتكون من

جديدة التي تفتحها نوافذ الهجرة. وإن كانت هناك

مكان فيها للعقلانية هنا، أو حالات توقف للزمن يوم

ميناء الوطن تاركة "كل" شئ تراكم في الذاكرة

رتقاء يجد تعبيره على لسان إحدى شخصيات

ش" لميخائيل نعيمة:

و المحل الذي يولد فيه "وطنه"، وهذه الكلمة مقدسة

ر. تراهم يذرفون الدموع عند فراق أوطانهم

عودة إليها. ولماذا؟ لأنهم ألفوها وتعودوها.

سوى عادة –لا أكثر ولا أقل- والبشر عبيد عادات.

داتهم قسموا الأرض كلها إلى مقاطعات صغيرة- "هذا

طنك. فالزم حدود وطنك ولا تتعد حدود وطني. وإذا

يحد السيف"؟ والسيف لا يزال يحصد أعناق البشر

وا لعادة الوطن وهاهو يحصدها اليوم وسيبقى

البشر مصّرين في عنادهم على قسمة الأرض إلى

سة بهذه الأمة أو بتلك، مازالوا يؤلهون صنما دعوه

)

الإنسانية الساكت- فلا أدري أين ولدت ولا يهمني أن

وطن لي، ولو كان لي وطن لتبرأت منه لأن العالم

واحد لا يتجزأ وإذا كان لا بد من وطن فهذا العالم

و وطني. أما هذه الكرة التي يدعونها الأرض والتي

ر ويتطاحنون على قسمتها فليست سوى حلقة

سلة لا بدء لها ولا نهاية.(15)

ليل جبران أكثر من وفق في بناء فلسفة إبداعية

ي حلم الإنسانية والإنسانية في كافة التضاريس

لنقرأ بعض قوله في الوطنية والعالمية: "ليست هذه

كافة، فالناس من جبلة واحدة وهم لا يختلفون

س إلا في الظواهر والمظاهر الخارجية التي لا يعتد

مم الشرقية هي تعاسة الأرض بكاملها، وليس ما

الغرب سوى شبح من أشباح الغرور الفارغ. فالرياء

فلم أظافره، والغش يبقى غشا وإن لانت ملامسه،

صدقا إذا لبس الحرير وسكن القصور. والخداع لا

ة إذا ركب القطار أو اعتلى المنطاد، والطمع لا

ا قاس المسافات أو وزن العناصر، والجرائم لا تصبح

رت بين المعامل والمعاهد... أما العبودية –العبودية

للماضي، العبودية للتعاليم والعوائد والأزياء،

ت فستبقى عبودية وإن طلت وجهها وغيّرت ملابسها.

**عبودية حتى وإن دعت نفسها حرية. لا يا أخي، ليس**

**ن الشرقي ولا الشرقي أحط من الغربي وما الفرق**

**رق الكائن بين الذئب والضبع. ولقد نظرت فرأيت وراء**

**ع المتباينة ناموسا أوليا عادلا يفرق التعاسة والعماوة**

**لسواء فلا يميز شعبا عن شعب ولا يظلم طائفة دون**

**ع من العاصفة في مجموعة الرابطة القلمية)**

**ي "صوت الشاعر" عن مواطنيته لهذا العالم يقول:**

**ون إلى طوائف وعشائر وينتمون إلى بلاد وأصقاع.**

**غريبا في بلد واحد، وخارجا عن أمة واحدة. فالأرض**

**عائلة البشرية عشيرتي، لأني وجدت الإنسان ضعيفا،**

**ينقسم على ذاته، والأرض ضيقة، ومن الجهل أن**

ك وإمارات.(16)

رأسي ببعض محبتي لبلادي. وأحب بلادي بقسم من

وطني. وأحب الأرض بكليتي لأنها مرتع الإنسانية روح

لأرض."(17).

و ماضي للإنسان دون حدود وهوية بالقول:

غير ما صورتها        أنت الحياة بصمتها ومقالها

الطين عد إلى لحظة الصدق وتذكر قبل أن ينطق

نحدة بتلك العبارة الممهدة لإعلان حقوق الإنسان :

س أحرارا متساوين:

ين ساعة أنه طيـ ن حقير فصال تيها وعربد

ز جسمه فتباهـى وحوى المال كيسه فتمرد

لا تمل بوجهك عني ما أنا فحمـة ولا أنت فرقد

...

من الثرى وإليه فلماذا يا صاحبي التيه والصد

إذ كنت طفلا وتغدو حين أغدو شيخـا كبيرا أدرد

من أين جئت ولا ما كنت، أو ما أكون يا صاح في غد

؟ إذن فخبــر ولا ما فلمــاذا تظن أنك أوحــد ؟

ساعر لا يبالي طير الأراك إن أنت أصغيت أم أنا وتورد

ف عند غنى سعد أو فقر عمر. قمر واحد يطل على

رفلك واحد يظلها..

فرحات أن يضع جملة من المبادئ الخلقية لتنظيم

سان وأخية الإنسان من جهة، والإنسان والمحيط من

ة الانطلاق للشاعر المهجري هي رفض المحاباة

مع الذات والآخر منظما أساسيا للعلاقة بين البشر(

ا يهوى فلست أرى    في الشيخ عدلا ولا في المحول

الحابي

ن تراني راضيا فأنـا    أرضي ضميري ولو أغضبت

أصحابي

ع الآخر فتتلخص بقوله:

رما حقي فأنت أخي    آمنت بالله أم آمنت بالحجر

العمل والسلوك وليس الاختيار المعلن أو القول:

دق أن لصا مؤمنا      أدنى لربك من شريف ملحد

أ أن يكون سببا لعداوات وأحقاد لا جدوى منها يتركه

لى الإخاء الإنساني:

وجنسي مذ رأيت بني      الدنيا فريسة أديان وأجناس

تأييده للسلام من نقد المؤتمرات التي تجري من أجل

وز فعاليتها اجتماع الناس لأيام في سوق عكاظ:

ب السلام كفى رياء      فما أقوالكم إلا خداع

صدوركم إلا ظلاما      بهيما لا يلوح به شعاع

راتكم سوق وفيها      ضلال يشترى وهدى يباع

سلاحكم سهل ولكن      متى نزعت مخالبها السباع

رحات على اختلاط البشر والاحتكاك بالأفراد والأمم

و ما يجهل ولأن التسامح ابن اكتشاف الآخر. وهو

ستقبل وعدم البقاء أسرى الماضي، يقول في هذا:

وب هذي الأرض شعب    تراه بذكر سالفه ولوعا

الإباء بصدر شعــب    فقد ماتت مآثره جميعا

ن بجرح عميق لم يمنعهم من رحابة الصدر لاكتشاف
البناء. ويترجم الشاعر القروي روح الاستعداد للتقبل
يتين من الشعر يعكسان وضع أغلبية المهاجرين
قروي (19)،

حكمة لا يشغلك من    أي ينبوع جـرت يا مستقي

شمس يمتص الندى    من فم الورد ووحل الطرق

إلى أوربة الذي ارتبط بالمؤقت، طرح العديد من
ناعيين مبكرا فكرة الاستقرار والتأثير عبر هذا
البلد المضيف والبلد الأصل. ومن أقدم المدافعين عن
يافث (1860-1923) الذي دافع عن فكرة إنشاء

رية المنظمة وتبادل الثقة المالية والأدبية بين

انب والإقامة الدائمة في البرازيل وإنشاء الجمعيات

ي تساعد على وحدة الجالية وتكريم العلماء والأدباء )

قلنة للبقاء، بقي هم التغيير في الشرق موجودا عند

ى يقول: "ترى سورية خالية من عمالها و أبنائها

نشرون الآن في سائر المعمور من وادي النيل إلى

ليا وشرقي آسيا وغيرها. ولا يستهان بتلك القوة

ة من أبناء سوريا العلماء الأعلام والشبان الأذكياء،

ا الاجتماع في تلك البقعة لقضت الآن على كل ظلم

ي. لأن الظلم في سوريا ليس الظلم السياسي

ظلم آخر أشد وقعا من ذلك وهو الظلم الاجتماعي-

محافظ على كل ما هو قديم من عادات سقيمة

واعتقادات وخيمة".(21).

ات والجمعيات مبكرا حياة الجالية العربية في

د وجدنا وثائق لجمعيات محلية في نيويورك

اكاس وسنتياغو وسان باولو وريو دي جانيرو قبل

للنساء دورا هاما في هذه الجمعيات وإن كان معظم

صدرن من الفئات الميسورة فقد دخلت المنافسة في

هذا الوسط. وكما يشير توفيق ضعون (1922) كان

من السيدات الأديبات اللواتي أسسن الجمعيات

ت وزنّ المنابر خدمة للمعوزين والفقراء وأخص منهن

متيلدا سليمان يزبك والسيدة نظيرة سالم فرعوني

شكيب جراب والسيدة سلوى سلامة أطلس وسواهن

يحط عدم تخصيصي إياهن من قدر فضلهن وجهادهن

سابقات وصاحبات المواهب الإدارية والخطابية

. ويتحدث الكاتب عن فكرة السيدة أدما يافث (1886-

ستشفى كبير للجالية تشكلت من أجلها جمعية

شفى السوري للاكتتاب وجمع التبرعات. وقد كانت

المستشفى للجميع بدون تمييز وهو غير مطبوع

سياسي أنشأته الجالية فهو للجالية معهدها

أدما يافث دورا كبيرا في دعم مشاريع إنسانية عديدة

ش الطفل البرازيلي وتنظيم حملات للأطفال

ساء المهملات وجمعية العمال في ابرنغا ومستوصف

شفى للتوليد هذا في البرازيل إضافة لدعم مشاريع

لرأيها في دور المرأة يتلخص بقولها: "من البديهي

رأة يكمل كل منهما الآخر، ويؤلفان معا وحدة كاملة

لا تقدم لأمة من الأمم، ولا للبشرية قاطبة، إلا

فاءة وتعاونهما في العمل المقرون بالتضحية ونكران

عد اليوم المستشفى السوري-اللبناني في سان باولو

فيات أمريكا اللاتينية. وقد صادفني أسماء أكثر من

ين رئاسة الجمعيات الإنسانية والمنتديات منهن ابنة

د الله شحفه وعقيلة السيد أسعد عبد الله السيدة

سيدة وديعه هازار وأولغا خماسية رزق الله..

وى الأعمال الخيرية تنتقل بسرعة. فلم تنجز بعد

ى في سان باولو حتى بدأ الاستكتاب لمستشفى

صمة الأرجنتينية. وتلخص السيدة وديعة هازار من

ضاء في كلمة ألقتها في تدشين صرح البناء الأساسي

في 1935 تقول: "فكر يتسرب إلى العقل الإنساني

نحة الخيال ويذهب سابحا في الفضاء إلى الأقصى

الضوضاء العالية، وهناك في ذلك الانفراد الفكري،

ة المشرفة على الحياة يرى البشر على اختلاف

تنعم بهنائها، وأخرى تتقلب على حصير شقائها.

ما استنبطه العقل الإنساني من وسائل الراحة

رون حرموا كل شئ حتى علة وجودهم. هؤلاء غرباء
كم بالحري في بلاد المهجر؟".

لت الجالية العربية الاحتفاظ بوشائج الصلة مع
هة أخرى كانت تعطي عن نفسها صورة الجالية
لوطن الجديد الذي استوعبها كجزء من المجتمع
الذي شكل الأغلبية في "العالم الجديد".

في اكتشاف الآخر والتفاعل معه كبيرة باعتباره
ات تعايشت فيها الجاليات والأفراد كمفهوم إيجابي
ش بين الجاليات والأقوام والأعراق يتم في أحيان
لاط وعلى أساس التجاور juxtaposition أكثر منه
رك assimilation. إلا أن رغبة الاختلاط واكتشاف
ة عند المهاجرين بشكل عام والنخبة الأدبية بشكل

واصل مع كتّاب ناطقين بالانجليزية والبرتغالية منذ

حاولات تعريف للقارئ العربي والعكس. ويؤكد

فرحات في بيت جميل على إصراره على الاختلاط

اكتشاف إيجابي لثقافة وشخصية وعطاء للآخرين

فقد يغنى أخو سفر عن كل ما تجمع الأسفار من

حكم

رتقي مهما تلا كتبا إلا إذا احتك بالأفــراد والأمـم

مع الآخر في الخيار الثقافي والسياسي واضحا في

فرة والمختلفة للسياسيين العرب في المنفى.

الاتجاهات الاشتراكية القومية ومنهم من يناهضها

راكية الديمقراطية أو الليبرالية. ففي حين ترجم

ون للعربية كانت هناك نصوص أخرى تنتقد التجربة

ظ في التيار القومي السوري في المنفى الاتفاق

قراطية علمانية متقدمة عليها في المشرق. فنقرأ

"حزب استقلال الأقطار العربية"(1929): "السعي

لى وراء الحصول على استقلال سورية ولبنان

قلالا تاما ناجزا خاليا من كل قيد وعلى منهج المبادئ

ثيلية اللا مركزية. ولا ضير أن يظل كل قطر من تلك

مستقلا عن الآخر أو أن يؤلف مجموعها أمة واحدة

هذا أم ذاك رغائب شعوبها عن طريق التصويت

.(24

ه سلفي أقلوي، كان الاتجاه العام نحو البحث عن

لاحية في البلاد وشجب القراءات التي تتمسك

على حساب الحاضر والمستقبل، فيما يترجمه إعادة

للإمام محمد عبده. ونقرأ لشعراء المهجر الكثير من

وعدم البقاء أسرى الماضي كقولة الياس فرحات:

وب هذي الأرض شعب تراه بذكر سالفه ولوعا

ف الإباء بصدر شعــب فقد ماتت مآثره جميعا

أحسن من يصف فلسفة التعامل مع الذات والآخر

ه الفلسفة التي نقرأها بتجل أكثر في التجربة

ريكية الجنوبية(25):

لّي الظالمون كما جاروا عليك ولم نرحل ولم نثر

ريب ونخشى قومنا فإذا حلّ البلاء شكونا الضيم

للقمر

والأوطــان تجمعنا قم نغسل القلب مما فيه من

وضر

رما حقي فأنت أخي آمنت بالله أم آمنت بالحجر

رأت في صحف وأدب المهاجر الأمريكية، مر بي

بابن تيمية يستحق فعلا التذكير به: "ولهذا كان العدل

كل شئ ولكل أحد، فلا يحل ظلم أحد أصلا سواء كان

أو كان ظالما".

كبير من المهاجرين لم يكن الخبز بيت القصيد في

حلم الحرية، هذه الحرية لم تكن ذات تعريف واضح

تنتمي لمدرسة معينة. إنها أولا وقبل كل شئ حالة

للاستبداد العثماني

الشاعر مسعود سماحة بالقول:

أرض الجدود ففيها حياة الجبان وموت الجرئ

قلام أحرارها وتطلق أيدي ذوي الميسر

ب في الأرض لا خائفا من البر أو لجج الأبحر

شيد أيوب هي الغاية والوسيلة، العدالة والنور، وهي

للبشر من آثامهم، يقول في الأيوبيات(26):

ية قد عشقتها وأنفقت عمري في هواها محاربا

فيك هام بحبه بنو الشرق إجلالا فحلوا المغارب

الدنيا وغاية سؤلها وأفضل شئ قد رأته مناسبا

ظلم وأنت عدالة ولا ظلم، فالنور يمحي الغياهبا

أن نجد جمل الوطن في الحرية تتكرر في الكتابة

رأ لأمين الريحاني يتغنى بالحرية:

وجهك نحو الشرق أيتها الحرية؟ أيتأتى أن يرى

لا للحرية بجانب الأهرام؟ أممكن أن نرى لك مثيلا في

ها الحرية! متى تدورين مع البدر حول الأرض لتنيري

المقيدة والأمم المستعبدة"؟ ونجد صدى شبلي

تتكرر كثيرا مثل مأثورته: "لست أخشى تخطئة الناس

فني مصيبا، ولا يسرني تصويبهم لي إذا كنت

. إن أقل ما في اطلاق حرية الفكر والقول تربية
جاعة والصدق وبئس الناس إذا قسروا على الجبن

ادي ما قاله قبل الهجرة وبعدها ويربط جورج صوايا
ساواة يقول:

ن القلوب عزيزة وتحي بأفكار الشعوب المساواة

سلمّ للألى سعوا تؤدي إلى المجد الرفيع ومرقاة

تتجاوز الشعار والتغني إلى ممارسة فكرية وممارسة
هذه الممارسة بتعدد التيارات واختلافها ووجود تيار
وآخر علماني ملحد. كما تتجلى في نقاشات
للطائفية والتقاليد والاستبداد والظلم والاستغلال.
صوص نقدية للعبودية ومحاكم التفتيش والدستور
ى هذه الممارسة الفكرية للحرية التي تأبى عند
ن لها قيد أو أن يقف أمامها سد. وسنتناول نقد

ئفية كمثل لهذه الممارسة

والطائفية

هاجرين إثر مجازر وصراعات مذهبية عرفتها سورية
م يوفر النظام الملي العثماني قضية استعمال
ره الغرب في توظيفها لغايات أخرى. ولكن أغلبية
ست أن تقع في الفخ الطائفي ولعل حياة الجمعيات
والأدبي قد لعبا دورا كبيرا في مناهضة المذهبية
المهاجر الأمريكية. كذلك كان لفترة مناهضة الخلافة
ضة الاستعمار الغربي ما عزز روح الوطنية على
الديني والطائفي. وقد تنوعت النبرات بين نقد صارم
ستعمالاتها المتطرفة والسيئة. وسنحاول استعراض
ول الدين والطائفية عند أدباء المهجر.

دين المسيح وربما        أموت على دين النبي محمد

ر وحيد الغرزوزي بمقالة في مجلة الشرق (27)

الأديان عندك كلها        بين البليد وبين آخر أبلد

بين مزاعم ومزاعم        وخرافة وخرافة يا سيدي

الأفكار في التجديد لا        مترددا وكلا يجر بمقود

اظرة بين الأديبين أهمية خاصة فالشاعر يقول

وانه بأنه تتلمذ على يد قيصر ويورد قوله

ن مذهبي فأنا من        مذهب القائلين باللا مذاهب

ذه الطبيعة آت        وإلى هذه الطبـيعة ذاهب

ردا يحمل الاحترام وبنفس الوقت الافتراق. يقول

(رشيد سليم الخوري):

إعجابي بالإسلام بصفته عقيدة فطرية سمحاء.

لي من الهائمين بالعروبة. لأنها خرجت من مهد

العروبة وبلغة العروبة.. وهو رأي خاص لا أكره أحدا

من يخالفني فيه. ولطالما سألني أكثر من صديق من

بي. مادمت تحب الإسلام بهذا المقدار فلماذا لا

ت ولا أزال أجيب لا أدخل حتى يدخل المسلمون

وبة فهي ملتي واعتقادي ديننا العام الذي لم يدع أحد

أليف القلوب عليه في خطبي ومقالاتي وأشعاري.

ناشدا البعث العربي والوحدة القومية:

ن ويا نصارى دينكم     دين العروبة واحد لا اثنان

مشقكم ودمشقكم     كرياضكم ورياضكم كعمان

ا أفما بعثتم مرة     لم لا يكون لمؤمن بعثان

لمناقشة أقرأ معظم آراء أهل المهجر الباحثين عن

والقراءة السمحة للإسلام والمسيحية، أو ذاك الاتجاه

ليس بوسع أحد إصلاح ما أفسدت الأيام.

أخير برز جرجي حداد صاحب مجلة القلم الحديدي

ر جرجي حداد في عدة مواقع من موقف الكنيسة

سطى من تغيير الدين أو حتى مناقشة معطياته. وقد

"تاريخ وفظائع ديوان التفتيش"  المقطع المتعلق

ملعون ومستحق للموت كل من يقول أنه حر أن

ني يريدها وأن له السماح أن يستشير عقله في

28) وهو يحمل الكنيسة المسؤولية الكبرى في ضرب

خير مخاضات ولادته عبر المجازر المنظمة ضد كل من

لإيديولوجيا الرسمية.

ستجوب الذات والوطن والعادات والتقاليد لم يتوقف

لعقائد. وإن قاد الزهاوي في الشرق ثورة في

طر شفيق معلوف تعابير ثورة أخرى في الجحيم

يغايا لاستجواب الظلم الإنساني على الأرض في

**مذ خلع الله علينا المقل**

**زودنا بنظرة ضائعة**

**وشهوة ملحة جائعة**

**وبشرة هفافة للقبل..**

**فمن لنا بطاعة الله**

**وهو الذي وسط العاصفة**

**زجّ بنا بالأضلع الراجفة**

**والجسد المستسلم الواهي**

**ثرنا عليه حينما سامنا**

**عسفا فلم نصبر على عسفه**

**قد حشد اللذات قدامنا**

وجيش العذاب من خلفه

أفتى بأن نقوم في ربقنا

بجزية العبد إلى ربه

هو الذي أذنب في خلقنا

وراح يجزينا على ذنبه..(29)

جبران يرسم معالم فجوة مخيفة بين الروح وتوظيف

طار المستقبل في أحشاء الأمس وصناعة المستقبل:

صرف عن الدين إلى المذاهب وعن الحقل إلى الزقاق

المنطق

س مما لا تنسج وتأكل مما لا تزرع وتشرب مما لا

وبة تحسب الزركشة في غالبيها كمالا والقبيح فيهم

رفع صوتها إلا إذا سارت وراء النعش ولا تفاخر إلا إذا

عبرة ولا تتمرد إلا وعنقها بين السيف والنطع

قبيلة فيها أمة

ل كل فاتح بالتطبيل والتزمير ثم تشيعه بالضجيج

ل فاتحا آخر بالتطبيل والتزمير"(30)

ال، يعود جبران ليؤكد:

يومية هي هيكلكم وهي ديانتكم"

ي "المواكب" قضية العلاقة بين الإنسان والعبادة

الناس حقل ليس يزرعه غير الأولى لهم في

زرعه وطر

عيم الخلد مبتشر ومن جهول يخاف النار

تستعر

عقاب البعث ما عبدوا     ربا ولولا الثواب المرتجى

كفروا

ضربا من متاجرهم     إن واظبوا ربحوا أو أهملوا

خسروا

في الدين: "هو ما أنار القلب، ومتى كان ضمير

مس حيا نقيا وقلبه كوردة تتفتح في الفجر لتستقبل

لا فرق إذ ذاك عندي إن ذكر بين الدراويش، أو سجد

أو اغتسل في نهر الكنج مع البوذيين".

الدين المتسامح أو التسامح في الأديان نجده عند

القلمية دون استثناء وفيه يقول رشيد أيوب:

لموسى وأعبد عيسى     وأتلو السلام على أحمد

الرابطة إلى الأدب المهجري بشكل عام، ولا يفعل

ي إلا أن يكرر خطابا ساد حقبة ارتقى فيها المثقف

عصب:

شا التعصب فيه هان، والموت من وراء هوانه

فرحات يترجم على طريقته هذا التصور بالقول:

دق أن لصا مؤمنا أدنى لربك من شريف ملحد

وف الموت بالإيمان يقول:

ى ما استطاع فإن دعا داعي منيته استغاث بكاهن

عر الياس فرحات تعميد ابنته معللا ذلك بقراءته

لمتسامي فوق تفاصيل الشعائر:

"ليلى" قلت لا فغلت في صدر جدة "ليلى" صورة

الكدر

عجبي منها فقد سمعت من زمرة الدير ما يدعو إلى

الحذر

إذا ما عشت صالحة    أن تبلغي كل ما للنفـس من وطر

قي لا اتصــال له    بالملح والزيت والتعزيم والهذر

جرأة شاعر يختصر شخصيته بالقول:

كما يهوى فلست أرى    في الشيخ عدلا ولا في المحول الحابي

ترانى راضيا فأنا    أرضي ضميري ولو أغضبت أصحابي

وكتّاب المهجر هواجس الخوف الذاتية والعامة وكانت

بة الجزء الثاني من مغامرة المجهول التي قادتهم

يد. وبقدر ما كانت مشاق العيش قاسية كانت الرغبة

ميز وخاص بادية أيضا..

عمالقة الهجرة الموت دون حفر آثار خالدة على

حث

س المقدسي، العوامل الفعالة في الأدب العربي

الأولى: في العوامل السياسية، منشورات

هرة، مصر، 1939، ص 6 وما بعها.

حصر دواوين عبد الباقي العمري وبطرس كرامه

ي وعبد الغفار الأخرس وفارس الشدياق ويوسف

م الأحدب..

سي، مذكور، ص 10.

العدد 36/258، عن المقدسي، مذكور، ص 11.

ل جبران، إلى المسلمين من شاعر مسيحي، عن

با وميتا، إعداد: ، سان باولو، 1932، ص 23.

ون، ذكرى الهجرة، طبع في سان باولو، البرازيل،

الله طعمه: ديوان الغريبات، المطبعة الفنية، سان

ح، ديوان النوافل، كراكس، 1947.

عان نجم، سان باولو، مختارات "الجديد" لجامعها

سان باولو، 1922.

الدبس وجورج حداد، أسعد عبد الله حداد، حياته

1956، ص 75.

عون، مختارات "الجديد"، مذكور، ص 23.

الرابطة القلمية، المطبعة التجارية السورية

ورك، 1921، ص 4-5.

يضة، الأرواح الحائرة، مذكور، ص 245-248.

الرابطة القلمية، مذكور، ص39.

صدر، ص40.

صدر، ص 105.

صدر، ص 106.

ت وما يليها مأخوذة من: إلياس فرحات، رباعيات

سان باولو 1954.

الشاعر القروي. طبعة 1961.

طونيوس يافث، نعمه يافث: حياته وأعماله وآثاره،

ريل،1934، ص 44-45.

صدر، ص 58.

ذكور، ص 25.

ا يافث، حياتها وأعمالها، عني بوضعه وأشرف على

بس بمساعدة عقيلتيها فيوليت وأنجلا، ص 6.

الإصلاح، "جريدة قومية عمرانية تثقيفية حرة :

ة الأمم الرشيدة والحرية ضالة النفوس الأبية، تصدر

وانس أيرس، الجمعة 26 تموز 1929.

بيب فرحات، رباعيات فرحات، قدم له توفيق ضعون

الطبعة الأولى وصدر في طبعة ثانية أيضا في سان

ب، الأيوبيات، طبع نيويورك، ص 38.

رق، عدد شباط/فبراير 1958.

داد، تاريخ وفظائع ديوان التفتيش، منشورات القلم

باولو، ص 138.

علوف، عبقر، الطبعة الثانية، سان باولو،

يا وميتا، مذكور، ص 205.

## نصوص مختارة

جبران

هذا العالم

الغربة وحدة قاسية ووحشة موجعة غير أنها

بوطن سحري لا أعرفه وتملأ أحلامي بأشباح أرض

عيني

أهلي وخلاني(...)

هذا العالم

جبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد مسقط

من يعرفني ولا يسمع بي (...)

جبت مشارق الأرض ومغاربها فلم أجد مسقط

من يعرفني ولا يسمع بي.(...)

هذا العالم

م ما تنثره الحياة وأنثر ما تنظمه. ولهذا أنا غريب

حتى تخطفني المنايا وتحملني إلى وطني.

ولي فكرتي

غني سوى الحياة. وكلنا مستعط ولا ذاهب إلا الحياة

ولي فكرتي

شجرة صلبة تتمسك عروقها بتربة التقاليد وتنمو

لاستمرار ولي فكرتي سحابة تتهادى في الفضاء ثم

تسيل جدولا إلى البحر ثم تتصاعد ضبابا نحو الأعالي.

رجا متينا راسخا لا تهزه الأنواء ولا تحركه العواصف،

شابا لينة تميل إلى كل ناحية وتجد بميلها بهجة

مذهبا قديما لا يغير ولا يتغير، ولي فكرتي بدعة جديدة

ي كل صباح وكل مساء.

* * *

ولي فكرتي

كم أن يصرع قويكم ضعيفكم، ويحتال داهيتكم على

من فكرتي أن أحرث الأرض بمعولي واستثمرها

ني بيتا من الحجارة والطين، وأن أحوك ثوبا من

ن.

كم مصاهرة الجاه والثروة، ولي من فكرتي أن أطرح

رة حبتين من الرمل على شاطئ الأبدية.

كم أن تحلموا بصروح أثاثها من الصندل المرصع

حرير المفتول، ولي من فكرتي أن أكون نظيف الروح

لو كنت بدون مكان اسند إليه رأسي.

كم أن تكونوا موظفين ملقبين، ولي من فكرتي أن

عا.

* * *

ولي فكرتي

كم قواميسها الاجتماعية والدينية ومطالبها الفنية

ي من فكرتي أوليات قليلة بسيطة.

: "امرأة حسناء قبيحة، فاضلة عاهرة، حاذقة بليدة"

ول: "كل امرأة والدة كل رجل، كل امرأة أخت بلا

ابنة كل رجل".

م: "لص، مجرم، قاتل، خبيث، عقوق. أما فكرتي

اللص صنيعة المحتكر، والمجرم خليقة الظالم،

القتيل، والخبيث ثمرة العربيد، والعقوق نتيجة

م : "شرائع، محاكم، قضاة، عقوبات". إذا كان ثم من

فكلنا يخالفها أو كلنا يخضع لها. وإن كان من ناموس

واحد أمام ذلك الناموس، فمن يتأفف من الساقطين

يلم أذياله كيلا تلامس المنطرحين على الأوحال كان

. أما الذي يفاخر بترفعه عن العثور والزلل فإنما

نسانية جمعاء، والذي يتبجح بعصمته إنما يتبجح

فسها".

م: "الماهر، المتفنن، الأستاذ، النابغة، العبقري،

ام"

قول: "الودود، المحب، الحليف، الصادق، المستقيم،

تشهد"

م: "الموسوية، البرهمية، البوذية، المسيحية،

كرتي فتقول : "ليس هناك سوى دين واحد مجرد

ظاهره وظلّ مجردا، وتشعبت سبله ولكن مثلما

من الكف الواحدة".

م: "الكافر، المشرك، الدهري، الخارجي، الزنديق،.

ول: "الحائر، التائه، الضعيف، الضرير، اليتيم بعقله

م: "الغني، الفقير، العاطي، المستعطي". أما فكرتي

قير ولا غني سوى الحياة، كلنا مستعط ولا واهب إلا

ولي فكرتي

م أن الأمم بالسياسة والأحزاب والمؤتمرات والتقارير

ا فكرتي فتحتم أن الأمم بالعمل، العمل في الحقل

مل أمام النول وفي المصبغة، العمل في المقلع

مل في المكتب وفي المطبعة.

كم أن أمجاد الشعوب بأبطالها الفاتحين فتترنم بذكر

سر ورعمسيس والاسكندر وقيصر وهانيبال ونابليون.

رر أن الأبطال هم كنفشيوس وليو تسي وافلاطون

طالب والغزالي وجلال الدين الرومي وكوبرنيكوس

القوة الغالبة بالفيالق والمدافع والمدرعات

طيارات والغازات السامة. أما فكرتي فتجزم أن لا

ولا عزم إلا للحقيقة ومهما طال عهد المنتصرين

والآلية فهم المغلوبون في النهاية.

كم بين العملي والخيالي وبين الإجرائي والكمالي

والمادي.

علم أن للحياة وحدانية ذات أوزان وقياسات وجداول

وزانكم وقياساتكم وجداولكم. فرب من تعدونه خياليا

ن ورب من تحسبونه ماديا إجرائيا كان من الواهمين

*         *         *

ولي فكرتي

فاتبعوها متنقلة بين الخرائب ومتاحف المحنطات

ي فكرتي وأنا أرقبها مرفرفة بين الضباب والسديم.

فمجدوها جالسة على عرش من الجماجم، ولي

لها هائمة في الأودية البعيدة المجهولة.

فاثنوا عليها مزمرة وافرحوا بأنفسكم راقصين، ولي

تؤثر حشرجة النزع على تزميركم والسجون على

وهي فكرة جميع المستأنسين المتآلفين المرتاحين،

**ي فكرة كل ضائع في مسقط رأسه وكل غريب في**

**وحش بين أهله وخلانه**

**ولي فكرتي**

**ماقنا نناديك أيتها الحرية فاسمعينا. من جوانب هذه**

**فنا نحوك فانظرينا. وعلى ثلوج أيامنا نسجد أمامك**

**عرشك الرهيب نقف الآن ناشرين على أجسادنا**

**لطخة بدمائهم، معفرين شعورنا بتراب القبور**

**هم، حاملين السيوف التي أغمدت في أكبادهم،**

**التي خرقت صدورهم، ساحبين القيود التي أبادت**

**ين الصراخ الذي جرح حناجرهم، نائحين النواح الذي**

**هم، مصلين الصلاة التي انبثقت من أوجاع قلوبهم!**

**حرية واسمعينا.**

*     *     *

إلى مصب الفرات يتصاعد نحوك عويل النفوس

الهاوية، ومن أطراف الجزيرة إلى جبل لبنان تمتد

بنزاع الموت، ومن شاطئ الخليج إلى أذيال

نحوك العيون مغمورة بذوبان الأفئدة. فالتفتي أيتها

*     *     *

المدارس والمكاتب تناجيك الشبيبة اليائسة،

الكنائس والجوامع يستميلك الكتاب المتروك،

المحاكم والمجالس تستغيث بك الشرائع المهملة،

فاشفقي أيتها الحرية وخلّصينا

*     *     *

الضيقة يبيع التاجر أيامه ليعطي أثمانها إلى لصوص

من ينصحه، وفي حقولنا المجدبة يحفر الفلاح الأرض

ها حبات قلبه ويسقيها دموعه ولا يستغل غير

من يعلمه،

نا الجرداء يسير البدوي عاريا حافيا جائعا وليس من

يرأف به،

فتكلمي أيتها الحرية وعلمينا

* * *

عي الأشواك والحسك بدلا من الزهور والأعشاب

عجولنا تقضم أصول الأشجار بدلا من الذرة

وخيولنا تلتهم الهشيم بدلا من الشعير

فهلمي أيتها الحرية وخلصينا

* * *

وظلام الليل يخيم فوق أرواحنا، فمتى يجئ الفجر؟

إلى الحبوس تنتقل أجسادنا والأجيال تمر بنا ساخرة،

فإلى متى نحتمل سخرية الأجيال؟

إلى نير أثقل تذهب أعناقنا وأمم الأرض تنظر من

ضاحكة منا فإلام نصبر على ضحك الأمم؟

إلى القيود تسير ركابنا. فلا القيود تفنى ولا نحن

ننقرض فإلى متى نحيا؟

* * *

مصريين، إلى سبي بابل، إلى قساوة الفرس، إلى

لى استبداد الروم، إلى مظالم المغول، إلى مطامع

ى أين نحن سائرون؟ ومتى نبلغ إلى جبهة العقبة؟

* * *

رعون، إلى مخالب نبوخذ نصر، إلى أظافر

سياف هيرودوس، إلى براثن نيرون، إلى أياب

يد من نحن ذاهبون الآن ومتى نصل إلى قبضة

ن سكينة العدم.

* * *

واعدنارفعوا أعمدة الهياكل والمعابد لمجد آلهتهم

ا نقلوا الطين والحجارة لبناء الأسوار والبروج لتعزيز

حماهم

وى أجسادنا أقاموا الأهرام لتخليد أسمائهم

ي القصور والصروح ولا نسكن غير الأكواخ والكهوف

الأهراء والخزائن ولا نأكل غير الثوم والكراث؟

والصوف ولا نلبس غير المسوح والأطمار؟

* * *

الهم فرقوا بين العشيرة والعشيرة، وأبعدوا الطائفة

غضوا القبيلة بالقبيلة، فحتى متى نتبدد كالرماد أمام

قاسية ونتصارع كالأشبال الجائعة بقرب هذه الجيفة

هم وطمأنينة قلوبهم قد سلحوا الدرزي لمقاتلة

وا الشيعي لمصارعة السني، ونشطوا الكردي لذبح

وا الأحمدي لمنازعة المسيحي-فحتى متى يصرع الأخ

الأم، وإلى متى يتوعد الجار جاره ويتباعد الصليب

عين الله؟

حرية واسمعينا، التفتي يا أم ساكني الأرض

لسنا أبناء ضرتك، تكلمي بلسان واحد منا فمن

شتعل القش اليابس. أيقظي بحفيف أجنحتك روح

فمن سحابة واحدة ينبثق البرق وينير بلحظة خلايا

جبال. بددي بعزمك الغيوم السوداء، وانزلي

دمي كالمنجنيق قوائم العروش المرفوعة على

تم المصفحة بذهب الجزية والرشوة المغمورة بالدماء

*     *     *

الحرية. ارحمينا يا ابنة أثينا. ارحمينا يا أخت رومة.

ة موسى. اسعفينا يا حبيبة أشعيا. علمينا يا عروس

وبنا لنحيا أو شددي سواعد أعدائنا علينا فنفنى

ريح.

جرجي حداد

ديوان التفتيش في البرتغال وإسبانيا

1 قمت بنشر نص للمفكرين الأحرار بعنوان "نقد

يكية عن منشورات الجمل في ألمانيا. وهي مجموعة

في مجلة القلم الحديدي التي بدأت بالظهور عام

ة ساو باولو ورأس تحريرها جرجي حداد (المعروف

اد) والتي أصدرها طيلة قرابة 15 عاما. وقد كان

يعرفها بالقول : جريدة حرة أنشئت لاطلاق حرية

الخرافات والجهل"، "لسان حال المفكرين الأحرار

سي". وقد اعتبر حداد من مهماته المركزية نقد كل

دينية كانت أو دنيوية وطالب بالنضال من أجل الحرية

كري والسياسي. ومن مؤلفاته، كتاب "تاريخ وفظائع

في البرتغال وإسبانيا" أصدره في ساو باولو سنة

الذي حصلنا على نسخة منه مؤلف من 206 صفحة

وسط وقد رأينا من المناسب نشر فصل كامل منه

لن نتدخل في المعطيات التاريخية كون أهمية النص

الوصفية، ونحيل القارئ لمادة محاكم التفتيش في

ان في حقوق الإنسان"، الجزء الأول. وقد توقفنا

عمليات الحرق وتقطيع الجسد والتمثيل بالأثداء أو

والكي وتشليع الأعضاء وسمل الأعين والتحييط

في حائط الكنيسة) وغيرها من التعبيرات اللا إنسانية

.

التفتيش في إسبانيا (الفصل الثاني من الكتاب

سجون ديوان التفتيش في إسبانيا والبرتغال

نصف بأكثر إيضاح كيفية التجسس والقبض على

وبعض أشياء ابتدائية عن رجال ديوان التفتيش

بقلم أوجين بيليتان قال:

أن عربة فخمة يجرها أربعة رؤوس من جياد الخيل

السجن المظلم الذي تقدم وصفه تنتظر من يخرج

ي غرض له أو زيارة وقد أحيطت هذه العربة بالحرس

شاهرو السيوف وقد لبسوا أفخر الملابس كأنهم

يم الشأن.

ه قد خرج من باب ذلك البناء الضخم راهب

و قد اتخذ مسكنا له قسما من هذا السجن أو القصر

وله إلى مقصورة كمقاصير جنة محمد فيها كل أسباب

. فهذا الراهب هو "المفتش" الرهيب الذي بين

والحياة هو أحد عمال مار بطرس على الأرض ورئيس

هب الذي هو كمولاه خليفة مار بطرس في رومية،

باد الحقير، ترتعد منه إسبانيا بأسرها حتى أن

قد امتدا إلى بلاط الملك وقصور الأمراء والعظماء

ن يغضب عليه هذا الإنسان كائنا من كان لأن ديوان
ولة ضمن دولة فكان له جنده الخاص وأعلامه وكان
لجند يدعى بجيش "الحرب المقدسة" فقوة هؤلاء
ن هذا التقديس أو هذه القداسة التي صارت ويلا
سانية.

الديوان لم تكن كلها جيوشا علانية كجيش الحكومة
ة والقسم القليل منها كان ظاهرا للعيان كجيش
ن هذا الجيش يجمع بالقوة أو بالقرعة أو بالأجرة بل
بد من قبل في جيش الديوان المقدس لأنه حينئذ
انيا بأسرها وكلمته لا ترد فلا يسجن ولا يحاكم مهما
ور فكان أكثر رجال هذا الجيش إذا لم نقل كلهم من
ف الذين كثرت شرورهم وفسقهم وتطلعهم إلى
اللواتي كان جمالهن سببا لزج أزواجهن أو آبائهن

في ظلمات سجون ذلك الديوان المسيحي بحجة

ل بعدئذ عما كان يجري وكفى..

يتوسط أو يشفع بأحد أولئك التعساء من غير أن

موت المحتم إذ يلحق بهم ويحشر في سجونهم حالا

جواب ولو كان أكبر كبير في المملكة. فما قولك

نهم كانوا يعتبرون أن التوسط هو ذات الهرطقة.

قدس" كان منتشرا في كل مكان ولكنه كان غير

جيش مخفى تماما كالبوليس السري في هذه الأيام

بأذن كبيرة جدا تسمع كل ما يدور من الأحاديث في

سبانيا وعين كعين الله تنظر ما في تلك البلاد من

تها شئ.

ي إسبانيا كان ملزما أن يقدم حسابا عن حياته
دقائقها، كيف يأكل وكيف يشرب وكيف ينام وماذا
تكلم وأين يسهر في الليل. هذه الإيضاحات كان
س الذي كان يسأل عن الرؤيا والأحلام التي يحلم بها
وعها .. فالأب مثلا كان مجبورا على أن يخبر ما يعرفه
، والابن عن أبيه، والأخ عن أخيه، وهل منهم من
حرة أو الهرطقة وأي نوع من الكتب يطالع ومن هو
ويعيره إياه الخ الخ.

ش أو المفتشون، فكانوا من الكهنة الذين يعرفون
ائس والبيوت فكان الكاهن يختلي في كرسي
مرأة أو الرجل الذي يريد أن يعرفه. ويأخذ باستنطاقه
م بصوت عال لأن سمعه ثقيل فيأخذ الراكع المعّرف

وما يعرفه من الأشخاص وما سمعه من الكلام بحق

ديوان التفتيش ثم يبوح بسره أيضا وما يفكر به هو

قبيل كل هذا يجري والكاتب المختبئ وراء الستر يكتب

مثل أسماء الأشخاص والبلدان وأحيانا يكتب كل

إذا وجد بعد اعترافه أنه هرطوقي أو يعرف شيئا عن

اء الديوان يلقي عليه القبض حين خروجه من

إلى المحكمة وحين استنطاقه يعاد عليه كلامه

قاله للكاهن فمن أين عرف رجال ديوان التفتيش ما

و قد أخذ الاستنطاق توا. الكاهن لم يزل في الكنيسة

حرة أو أنبياء فيخاف المتهم ويقع بحيرة عظيمة.

وا القبض عليه حالا فإنهم في اليوم التالي يبعثون

يريدون القبض عليه برسول خاص من قبل الديوان

ى بيت المراد جلبه فيكلمه بكل لطف واتضاع وصوت

شحاذ وهو يطلب صدقة:

سيد قد اجتمعت أمس صدفة بآباء الإيمان المقدس

ث جاء ذكرك فأحبوا أن يروك لأشغال خصوصية

لذلك فحضراتهم ينتظرون حضورك غدا في الساعة

أن تحضر في الوقت المعين".

ن التفتيش لست بغافلة عن الشخص المطلوب هذا

بعد إنذاره بالحضور فهي قد اتخذت كل الاحتياطات

لرجل وأوصافه وأسماء أعضاء عائلته كلها مقيدة في

لدموي، فإذا هرب بعد تبليغه الأمر بالحضور فالمسألة

ليس على الرجل فقط بل على عائلته أيضا وإذا حضر

جون الديوان للتعذيب أولا وربما للموت أما إذا هرب

على خداع رجال الديوان أي أنه مكر بهم وعرف

من نحوه مقدما فربما كان يقدر على الخروج من

الحالة هذه يجب أن يخرج بشخصه فقط أي أن يترك

وكل شئ له وهرب بسرعة زائدة.

ذه السرعة والمجازفة الفائقة لم يكن يتيسر لكثيرين

ن المهرب وجواسيس الديوان الوقوف على حدود

ي الطلب، فإذا قّدر للرجل الهرب فإن الديوان كان

الا على كل أعضاء عائلته ويزجهم في سجونه

بط كل أملاك الرجل ومقتنياته وما تملك يداه

رجاله وجواسيسه.

كما تقدم وحضر للمحكمة في الوقت المعين فإنه

ولا أمام رجال الديوان وهم مقنعون بالأسود وهناك

سئلة أولية حتى إذا فرغوا من استنطاقه هذا زجوه

علوم لحين المحاكمة، لكنهم أحيانا كثيرة كانوا لا

هم ولا يسألونهم تلك الأسئلة الأولية مطلقا بل كانوا

ا إلى السجون بدون أن يعرف هؤلاء لماذا سجنوا

ون عليهم وإذا سئلوا كان جزاؤهم الإرسال إلى

(..)

وان التفتيش كانت وهذا في إسبانيا خاصة تحت

ق يشبه عمق الآبار تقريبا، وكانت رطبة قذرة فاسدة

ومجرد النظر إليها وفحصها كافيان لإحداث الارتعاش

سان كان.

هذه السجون مقسمة بطريقة أن كل سجن منها يسع

ط لكن إذا كان المسجونون كثيرين كانوا يضعون اثنين

ي وأحيانا أربعة في سجن أو قبر واحد.

رخين في ذلك العصر، وهو من رعايا إحدى الدول

نيا أنه من المستحيل أن يقدر الفكر على تصور

جون الضيقة المظلمة الرطبة التي كان يقضي فيها

شهورا بل وسنينا وهم محرومون من الهواء النقي

والغريب أن هذه السجون كانت بدء العذاب أو مقدمة

وليست كل العذاب مع أنها من أهول آلان العذاب

هذه السجون كانت تجد الحرية والعواطف الشريفة

لنبيلة روح أولئك الشهداء المساكين.

هذه السجون الرطبة كان المسجونون المساكين

لثياب ما عدا خرق بالية تستر أجسادهم فكان يهرأهم

وهم في جوف الأرض المظلم فالساعات عندهم

لأيام والأيام كالأسابيع والأسابيع كالشهور والشهور

لة المهلكة.

لى هذا العذاب، وهذا في سجون إسبانيا، عذاب

ل الديوان المقدس لم يكونوا يأمرون لسجنائهم بأكثر

صغيرة لكل واحد في اليوم بحيث أنهم يحفظونهم

ط ليوم العذاب لكن علم بعد ذلك أن القصد من تجويع

ن ليس التعذيب فقط بل إضعاف جسد ونفس

يقر عما يعرفه ويبوح بأسراره وجمعياته وإخوانه

مقرهم، هذا قصد "آباء الإيمان" وهو زيادة إملاء

هؤلاء التعساء

من الصحافة المهجرية

فة المهجرية مرآة تعكس أهم التيارات الفكرية

المهجر. وإذا كانت الصحافة ذات التأثير الحزبي لم

ر عميقة الأثر، فقد نجحت المجلات الأدبية في

طاء صورة ممتازة للإنتاج الأدبي في المهجر.

موعة الكاملة لـ "مجلة الشرق" التي تعد من أطول

ارية مع الحفاظ على نوع من التعددية في الرأي

وضوعاتها وتنوع قرائها. وقد كانت الإعلانات

طي حيزا هاما من تكاليف هذه الجريدة التي خصصت

لات ونشاطات الجالية العربية في البرازيل. ونلاحظ

سياسية إعادة انتاج عدد هام من المقالات المنشورة

ان ومصر للتعريف حينا وللاستنجاد برأي من الوطن
هناك مقالات عديدة مرت بسرعة في لبنان مثلا أخذت
النقاش في البرازيل. ومن الممتع تتبع الصحافة
صدور أول دستور في سورية ولبنان والنقاش الذي
ين منتقد للمادة الثالثة من الدستور السوري التي
د السورية جمهورية نيابية، دين رئيسها الإسلام"
فهوم السيادة من الدستور اللبناني. وقد استنجدت
ة برئيسيات الاستاذ جبران التويني في الأحرار فكانت
هجريين وقد نشرتها "الشرق" في عددها 11 السنة
15/9. كذلك نالت مسألة دور الفرد وحقوق الفرد
د من النقاشات الفكرية والسياسية خاصة في
اعدت فيها التيارات الشمولية كالستالينية والنازية
الأمة أو الطبقة قبل الفرد. ويمكن القول أن ما كان
افة لم يرتبط حصرا بالمهاجر ولا يمكن اعتبار الهجرة
قد كانت الصحافة والرأي العام يتشكلان من وجهات

**من الوطن دون تمييز يذكر. بل على المرء في**

**ن هذا القرن أن يتحقق من مكان تواجد العديد من**

**كت رأيا مؤثرا في الجاليات العربية لأنها لم تكن**

**ة في المهاجر. فيما يلي صدى الوطن في الهجرة**

**وطن عبر مقالتين الأولى في نقاشات الدستور**

**ة حول الدولة والفرد في المذاهب السياسية.**

**شروع الدستور السوري**

**الأستاذ جبران التويني في الأحرار"**

**دستور السوري من وضع النص النهائي لمشروع**

**دأ المجلس التأسيسي بدرسه، ونعتقد أن أمر تصديقه**

**كثر النواب متفقون على المشروع.**

الأولى على أن "سورية دولة مستقلة ذات سيادة، ولا

شئ من أراضيها" ولم تشأ اللجنة أن تحدد هذه

ت للداخل وللخارج أم هي للداخل فقط. بل تركت

في إطلاقه، على اعتقاد أن السيادة القومية لا

فإن هذا النص يوجد لسورية شخصية دولية، لم

ص المادة الأولى من دستوره. فهي تنص على أن

ولة مستقلة ذات وحدة لا تتجزأ" أما السيادة فلم يرد

ة، ولعلهم أغفلوها حتى لا يصطدموا بتحفظات

ك الانتداب نفسه. وهو اصطدام لم تحاول اللجنة

نبه، لأن الانتداب في سورية سيبدل بمعاهدة تنعقد

رنسة، أي بين دولتين لكل منهما استقلال وسيادة.

اللجنة وضعت هذا النص المؤيد للاستقلال والسيادة،

ثقت من انطباقه على خط المسيو بونسو. ولعل

ع هذا النص كان ناتجا عن مخابرات دارت في هذا
ضع أساسات المعاهدة أو "التفاهم" على علاقة هذه
ع فرنسة و"تعهداتها الدولية". هذا ما نعتقد أن اللجنة
عها هذا النص، اجتنابا للاصطدام.

الثانية في مشروع الدستور السوري تؤيد الوحدة
سلبيا، أي أنها تعتبر كل تجزئة طرأت على سورية
مة عملا غير مشروع، إذا هو كان اليوم أمرا واقعا،
المطالبة بإزالة هذا الأمر الواقع، متى أصبح ذلك
هي من قبيل تسجيل ما يعتبره صاحبه حقا، للحصول
لا يسقط بمضي المدة، إذا كان لا يستطيع الحصول
مادة تقول "إن البلاد السورية المنفصلة عن الدولة
سياسية لا تتجزأ، ولا عبرة لكل تجزئة طرأت عليها
العامة" وهذه التجزئة تتناول فلسطين وشرق

د المشمولة بالانتداب البريطاني، وتتناول الموصل
كانت من "حصة" فرنسة وأراد مسيو كليمنصو أن
استغفر الله، بل للعراق..

ة قد لا تروق لفريق من طلاب الوحدة المركزية
تروق أيضا لفريق من طلاب التجزئة والانفصال.
صيغتها المرنة تؤيد الحق في الحصول على وحدة
، إذا هي لم تكن اليوم أمرا نافذا، فليس ما يدل على
طالبة بها، وعلى الرضى بالأمر الواقع.

الثالثة على أن "البلاد السورية جمهورية نيابية، دين
" وهذه بدعة في الجمهوريات، ولكنها بدعة أوجبتها
مكان. نعم إن الدستور اللبناني لم ينص على دين
واه من دساتير الجمهوريات. ولكن الحالة في لبنان

ما في سورية. فهنا طوائف عدة يكاد يتساوى فيها

مسلمون عددا. أما في سورية فالأكثرية الساحقة

لام، وهي لم تصل بعد إلى درجة من "العلمانية" تعتبر

لدولة حق لكل مواطن مهما كان مذهبه ولو أن هذا

لكان قضى به العرف نفسه. ومع ذلك فإننا لا نرى

واخذ عليه اللجنة، إذا أردنا أن نكون عمليين غير

ا نفضل أن لا ينص الدستور على دين الدولة أو دين

متى علمنا أن الاعتبارات المذهبية لا تزال سائدة في

جدنا لواضعي هذا النص عذرا مقبولا. فإن خصوم

المرشح لرئاسة الولايات المتحدة لا يجدون له ذنبا

كي غير بروتستانتي. لقد كان ملوك انجلتره

ن يوم يتولون الملك على اضطهاد الكاثوليك في

شذ عن هذه القاعدة سوى جلالة الملك جورج الحالي

الفقرة من اليمين. والمسيو دومرغ رئيس جمهورية

هو أول رئيس غير كاثوليكي يتولى رئاسة الدولة. أي

في الحضارة، وأكثرهن تسامحا وحرية معتقد، لم
ة تماما على دين رئيسها حتى الآن. فليس على
غضاضة إذا نص دستورهم على دين رئيس الجمهورية،
مهورية نفسها. ولا يغرب عن البال أن مهمة المجلس
فة جدا في هذا الموقف، فإذا هو لم ينص على دين
صومه عليه جماهير المتعصبين واتهموه بالزندقة
وا المهمة التي أخذ على عاتقه أمر تنفيذها. فهو
ن دين الدولة قطع الطريق على المشاغبين".

العبودية على مّر العصور

ة عيد تحرير العبيد الذي وقع في 13 الجاري)

ي شيمِ النفوسِ فإِن تجد		ذا عفَّةٍ فعلةِ لا يظلمُ

ات عامة

زال خلة ملازمة للإنسان منذ نشأته كأنها منه بعض

ء من طبعه وفلذة من فؤاده ولعلَّ العبودية أشد

أكثرها ويلاً فما العدوُّ المغير عَلَى عدوه بخيله ورجله

ويقتل رجاله ييتم أطفاله لا ولا الفتنة تنشب في

خوان عَلَى إخوانهم فيبيدونهم طعناً وضرباً لا ولا

لزالها فتغفر أفواهها وتبتلع القوى والمدائن وما

بأشد هولاً من أن يستعيد الإنسان أخاه الإنسان

عياله كما يتصرف بالمتاع أو بالحيوان.

الدهاء ومازال الدهاء بصقل ظاهرها دون أن يغير
شكلها دون أن يمس جوهرها فهي مازالت تنساب بين
تتغلَّل بين أخاديد العصر ودهاء الإنسان يحوّرها
رتها ويوسع منطقتها. وبعد أن كان الإنسان يستعبد
من بني جنسه أصبحت الشعوب تستعيد الشعوب
رها فتذيقها الخسف والذل الهوان وقد يتوصل سكان
ضية إلى الإنفاق عَلَى استبعاد سكان سيَّار آخر
نهم العبودية حينئذٍ وهذا ما تسعى إليه الإنسانية
إلى الكمال لم تذكر التواريخ الدنيوية لا ولا الدينية
لعبودية ونشأتها وجلّ ما ذكرته إنها رافقت الإنسان
مروياً وقبل أن يُكتَب ولا شك أن الإنسان الأول
لتنبهه إلى وجود منفعة من الضعيف المغلوب إلا
الصيد سداً لجوعه ولكنه أدرك بالاختبار ومن روح
دأت تدب فيه أن بقاء المغلوب حياً خير من يُقتل
وم وأن باستخدامه ما قد يسد جوع أعوام فأبقى

ى هي صفة الإنسان الذي يكون ونسله ملك غيره

عاً بين العبد الروماني الذي كان لسيد عليه الحق

لاله وذريته بدون بدل وقتله أو جدع انفه أو صلم أذنه

أو سمل عينيه أو قتل فخذه أو جلده بدون عقاب،

مزارعين في القرون الوسطى الذين مع القضاء

لأرض واستغلالها ما داموا أحياء كان لهم كثير من

. ومن العبيد من كانوا يولدون أرقاء تحت تأثير الإرث

يُسترَقُّون لوقوعهم أسرى في الحروب أو لاقترافهم

ن عليهم ومنهم من كانوا يجبرون على الأعمال

على الأعمال الشاقة خضوعاً لإحدى السلطات

ت الحال في أميركا والكونغو وغيرها من البلاد

ومانيين يرون العبودية جزءاً متمماً لترفهم وراحتهم
م وفلاسفتهم يرون في الأرقاء نوعاً من البشر خلق
ودية لانحطاط مداره التي يتمُّ عليها عدم مقدرته
حريته حتى أن ارستطاليس وهو أكبر فلاسفة
قول ببقاء العبودية ولم تكن التعاليم الفلسفية
حية في رومة بمقاومتها للعبودية ترمي إلى إلغائها
ويلات الأرقاء حمل أسيادهم عَلَى معاملتهم بطريقة
ر حناناً ورأفة.

انت في نظر الإنسان أمراً طبيعياً حتى كان عدد
ر من البلدان يربى على عدد الأحرار وكان اليهود من
قيت النخاسة حرفة يستدرون منها أرباحاً طائلة حتى
اسع عشر وكان للعبودية مصدر آخر غير أسرى

لاختطاف بالقوة أو بالإغراء وخصوصاً عند الشعوب

قيين والكريتيين والكيليكيين وغيرهم قد ذكر المؤرخ

ن بعض قبائل التراقيين كانوا يبيعون صغارهم أرقاء.

إن العبودية نشأت بينهم من عهد البطولة وكان يكثر

ي الولايات المتحدة الدوريقية وكان هؤلاء على

حدرين من سكان البلاد الأصليين قبل أن افتتحها

انوا يأخذون بدل أتعابهم أجوراً زهيدة ومن المرجح

ح الأوربي اتخذت عن تلك.

ورنثيا وغيرهما من المدن التجارية كانوا يشترون

رة وكان بعضهم يخصص للخدمة في القصور

ه الحكومة فتبنيه الأبنية الكبرى والأسوار والمجالس

ه للتجذيف في السفن الحربية وكان الرومان يتباهون

كبير من العبيد ويقال أن الرومان يتباهون باقتناء
العبيد ويقال أن سكوروس كان عنده في دوره
لاف رقيقٍ ومثل هذا العدد في حقوله.

وماني يعتبر كبعض المتاع محروماً من كل الحقوق
ى استخدامه في غير الشؤون الخاصة والاستيلاء على
الشريعة الرومانية تعترف بزواج الرقيق وهكذا بقيت
المسيحية مدة قرون عديدة.

ت الرومانية توزع الأشغال على ارتقائها حسب
هم وثباتهم على الأعمال فمنهم من كانوا عمالاً في
ت ودور العلم وبعضهم يبقون في خدمة الإمبراطور
ن مراكز عمومية عالية كالسهر على المباني الكبرى
ن وتدبير أملاك الدولة والأقل ذكاءً كانوا يستخدمون

ع وتعبيد الطرق وتنظيف الأسواق.

النخاسة عند الشعوب الأوربية المسيحية بقيت
ندقيين إبان الحروب الصليبية فإنهم استبدلوا أسواق
راسيا بأرقاء كانوا يشترون من القبائل الصلافونية
لادرياتيكي أما أسرى الحرب المسيحيون الذين كانوا
ة المسلمين فإنهم كانوا يباعون في أسواق آسيا
با وبقيت النخاسة على هذه الحال حتى أواخر القرن
نما ابتدأت مداخلات الدول المسيحية التي تلاها
لجزائر ثم انعتاق اليونان من الحكم التركي عقبها
ي المغرب ومصر والمملكة العثمانية.

ة ثانية باكتشاف أميركا فإن الأمم المسيحية أخذت
الإفريقيين وتحملهم إلى أميركا لتشغيلهم في

نه وتربية المواشي في العالم الجديد بدلاً من سكان
إذ لم يكن لهؤلاء قوة وثبات على الأشغال الشاقة
هم يرغمونهم عليها.

تغاليون حذر الأسبان في النخاسة وسهل لهم هذه
نة تسلطهم في ذلك الوقت على اكثر شواطئ
يستولون قوة واقتداراً على أولئك الزنوج المساكين
ء وأطفال ويحملونهم على العالم الجديد وكثر طلب
نوج في أسواق مواني، الاطلانتيكي وداخل الطمع
ؤساء كثير من القبائل فأخذوا يشنون الغارات بعضهم
أحقاد أو ضغائن بل أن الدافع الوحيد على تلك
ستيلاء على الأسرى وبيعهم من البرتغاليين أرقاء
أوربية.

بعيد كانت شركات من الأوربيين ترسل بعثات إلى
سترقاق السكان فكانوا ينقضون على أولئك على
سرونهم من رجال ونساء وأطفال يحملونهم إلى البلاد
ركا فيبيعونهم بيع السلع وكان يدعى هؤلاء
وانهم نخاسين وحدث منذ تسعين سنة ونيف أن إحدى
نخاسة فاجأت سكان إحدى القرى الأفريقية
بن وقادتهم إلى الشاطئ منه نقلتهم إلى إحدى
ولقيتهم في عرض البحر فرابها محمول تلك
نها وأعتقت أولئك المساكين ولكنها لم تعدهم إلى
هم في مستعمرة سيراليون الإنكليزية فاعتنق
ية وكان بين المنتصرين شاب أسمه ادجاه عمد باسم
فكان مسيحياً حاراً وغيوراً انضم إلى فرقة
ال يرقى في درجاتها حتى أصبح مطراناً ثم رئيساً
ريا.

رب نشبت بين مدينتين إغريقيتين كبيرتين أن شاباً

سر وأستعبد وكان ذا فكرة وقادة وذكاء نادر فأحله

ه منزلة رفيعة وحرجه على أعظم أساتذة ذلك العصر

أن صولون الأثيني المشترع الكبير زار بلاط كزيرو

ره ايزوب لهفوة ارتكبها في حضرة الملك ومن هنا

السطوة والحول اللذين كان يصل إليهما الرقيق

ا مشوه الخلقة قبيح الشكل اشتهر بمقدرته الفائقة

لقصص الخرافية التي لم تخلق الأيام جدتها ولم تزل

تعد من أشهر كتب البلاغة والحكم ونقلت إلى أكثر

م الإمبراطور جوستينيانوس رقيق أرمني الأصل لا

ارسس وكان عليل الجسم من أهل الزمانات فبلغ

طور خبر ذكائه وعلمه فقربه إليه ووكل إليه أموراً

س يقوم بها خير قيام وأظهر بنوع خاص مقدرة

في الفنون العسكرية كان القسطنطينية آنئذ

الرومانية وحدث أن قبائل القوط البربرية اكتسحت

ت عليها وأصبحت تتهدد المملكة الرومانية جمعاه

مبراطور جوستينيانوس جيشاً لجباً ترأسه قائد محنك

زاريوس وبعد معارك دامية لم يفز هذا القائد من

حتى أضطر الإمبراطور أن يستبدله من نارسس

هذا قيادة الجيش الروماني وأغار على القوط فأبلى

ومازال يتبع النصر بالنصر ويصل المجد بالمجد حتى

القوط ونجى المملكة من شرهم.

ائع عند الإغريق والرومان أن يضعوا على الرقيق

له سبل الربح حتى إذا تمكن من دفع ثمن عنقه أعتق

ة سيدة ممتعاً ببعض الامتياز والحظوة ذا حق باقتناء

نه كان للطاغية الإمبراطور نيرون عبد عتيق أسمه

ن لهذا عبد رقيق أسمه ابيكتتو أشتهر بين أقرانه في

ة الأخلاقية وكانت هذه المدرسة مثابة لأكبر فلاسفة

ن اشتهروا بكبح جماع أهوائهم وصفاء نياتهم وسمو

ايبافروديت كان قد ذاق مرارة العبودية واختبر

لهوان والذل التي يتحملها الأرقاء فأنه كان سيداً

ن ابيكتتو يتحمل من قسوته مالا يطيقه بشر وحدث

د العتيق غضب يوماً على ابيكتتو رقيقه فأمر فخذه

يد الآخرون يقومون بهاذ العمل على مرأى من

كتتو يقول لمولاه بوداعة وحلم؛ أمرهم أن يتأنوا فأن

ه الطريقة قد يؤدي إلى خلعها . وهكذا حدث فإن فخذ

ه . فقال: أني أنذرتك يا سيدي فلم تقنع.

يقول إن استعباد الجسد مهما أشتد فإنه لا يصل إلى

فس حرة والعذابات الجسدية تضمحل كالدخان أمام

ي يحلق إلى فوق ما تصل قوى الإنسان فيمرح في

والهناء لا تصل إليه يد المادة الحقيرة ذات السلطة

فت بابيكتتو حتى أعتق وكان قد ذاع ذكره في

ية كفيلسوف وأستاذ فمات دون أن يترك كتباً من

د تلامذته وأسمه أريانو وضع كتاباً حكيماً نقل فلسفته

أبيكتتو هو من أشهر كتب الفلسفة والحكم والأمثال.

ابر علماء الرومان يرون شرفاً رفيعاً بالانتساب إلى

قيق منهم الإمبراطور العالم مرقس أوريليوس وإن

والحكم اللذين وضعهما أبيكتتو وتلميذه مرقس

من أعظم ما أنتجته قرائح الفلاسفة بل من أسمى

كار الإنسان من تطهير النفس وصقل الخلق.

مئات ألوف الأرقاء لا للخدمة المنزلية فقط بل

ورهم الخاصة من حراثة الحقول وزرعها وتربية

هما وكان هؤلاء الأرقاء أتعس حظاً من الحيوانات

مون على تربيتها وفضلاً عن هؤلاء كان لديهم أرقاء

م بين أسرى الحروب والغارات فيدخلونهم مدارس

ليكونوا تسلية للجمهور في الملاعب العمومية.

م بومبيوس وكان ذلك عند بدء علونجم يوليوس

ين أولئك الأرقاء رقيق يوناني إسبرطي من جبال

بارتاكوس كان يرى نير الرق ثقيلاً فنفخ في قلوب

رة وحضهم على الاباق وكانوا شجعاناً أبطالاً ومهرة

ذوي سواعد مفتولة وعضلات فولاذية وكانوا

ال كل أنواع الأسلحة وكانوا يناضلون الأسد والنمرة

ة فينتصرون عليها ويردونها وكانوا يدعون غلادياتور

ر يرون في سبارتاكوس المحرض شجاعاً مقداماً

رئيساً وأعلنوا العصيان حوالي جبل يازوف وطول

نقضوا كالصواعق على القرى المجاورة فأخضعوها

ومة وقد جرد عليهم السناتو الرماني حملات كبيرة

بلاءً حسناً فعادت خاسرة وكانت صفوفهم تزداد

ح سبارتاكوس رئيساً وقائداً لجيش من الشجعان

شديد الرغبة في الفتح والهجوم على رومة بل كان

عتق رفقائه وعودتهم إلى بلادهم ولكن الأرقاء ثملوا

متوالي الذي أحرزوه بقيادة سبارتاكوس وأبوا إلا أن

ة الرومانية وينالوا النصر النهائي فلم يشأ

يتركهم مع يقينه باستحالة ما يرومون فجيش عليهم

لا يحصى عديدها بقيادة أحد قوادهم المحكين

راك هائل وقع فيه سبارتاكوس قتيلاً وحكم على من

حياً وكان عددهم يربو على الستة آلاف بالقتل

صلبوا على طول جادة آبيا.

وس فوق شجاعته النادرة وقوته الهرقلية قائداً ذكياً

وقد اثبت أحد المؤرخين خطاباً له على جيشه

لان العصيان جاء فيه.

تموني قائداً ورئيساً عليكم وقد رأيتموني مدة اثنتي

رك في ملاعب رومة فأقهر كل بشر أو حيوان ضار

لكة الرومانية الكبرى فما نبا سيفي مرة ولا خانتني

كان أحدكم يثبت أني خذلت مرة في حياتي

كان لثلاثة منكم معاً قوة ساعد ورباطة جأش على أن

حة الوغى وجهاً لوجه فليتقدموا! غير أني لم أكن

ن المأجور والرئيس الشرس لقوم أشد مني شراسة

ءوا من إسبرطة القديمة واستوطنوا جبال سيرازيلا

ن والفياض المدبجة بالأزهار.

فولتي صافية رائقة كمياه السواقي البلورية التي

افها وعندما كنت أجمع عند الهاجرة قطيعي الصغيرة

وآخذ شابتي وأعزف عليها ألحاناً شجية كان ينضم إلى

خلق كالسلسبيل لا تفارق الابتسامة الملائكية ثغره

رنا فكنا نقود قطيعينا بخطى واحدة ونقتسم المأكل

بها ذوونا وفي أحد الامساء نزل الرومان من

شواطئنا فأعملوا فينا السيف والحبل والنبل رأينا

ضعنا منها الحليب والحب تتكسر تحت سنابك الخيول

قدم محرقة حية على هياكل من أكواخنا الحقيرة.

فاق قضى أحدكم نحبه في العراك مع أسد هائل

لخوذة عن رأسه وحدقت إلى وجهه استولى على

ى صديقي المسكين. عرفني فابتسم بلطف ومرارة

طبني وعينيه ليراني ولكن الموت عاجله دون أن

فيه فقضى وعلى ثغره تلك الابتسامة الحلوة التي

صغره – من أيام طفوليتنا الجميلة.

ملعب أن ذلك الميت كان صديقاً لي وطلبت إليه جاثياً

قل جثته وإحراقها وحفظ رمادها المقدس! أجل أيها

ن طلبت إلي جاثياً باكياً على رمال الساحة المغطاة

راخ الرومانيين من رجال ونساء وأمراء وأوانس

ماء، كيف لا وقد رأوا أعظم تسلية لم يحملوا بمثلها

سى غلادياتور روماني يجثو باكياً أمام كتلة بشرية

ارس زجرني وأشاح بوجهه عني كأني موبوء بازدراء؛

كلب. أن هذا الشرف محفوظ لأبناء رومة فهم

ء.

أيها الرفاق. أننا سنموت كالكلاب الكلبة رومة رومة!

وماً حنوناً . أجل أنت أعطيت قلباً فولاذياً وعضلات

راعي الساذج الخجول الذي لم يكن يسمع في عهد

ة إلا صوت شبابته الشجي ممزوجاً بانين مياه الجداول

أنفه بنفخ الزيزفون وشميم العرار رائحة الدماء

سيفه ويطعن به خصمه ما بين زرد الفولاذ وحلق
قلبه وأن يحدق إلى عيني أسد الشرى كما يحدق
ي فتاة بسامة الثغر وهاه يجزييك ما أوليته من
فك عن قتالك حتى يجرين نهر التيبر دماً قانياً تتجمد
حياتك.

للا شجعاناً كما أنتم ففي أعصابكم المرنة قوة الحبال
عضلاتكم صلابة الشبه وفي دمائكم نيران يازوف. قد
حاً أحد أبناء رومة المخانيث يتضوع من أكمامه عبير
ن شعره أرج الزيزفون فيجس بأصابعه الوردية
م المفتولة مراهناً على دمائكم أماله الطائلة.

رفاق! ألا تسمعون زئير السد في عرينه؟ أنه لم يذق
أيام! غداً ستنشب مخالبه في صدوركم وتفكك

كفه القوية وتصبحون له لقمة سائغة يتسلى بمنظر

ومة! فن كنتم أنعاماً فانظروا سكين الجزاروان كنتم

!

رطة! هل زهقت من قلوبكم الروح الإغريقية الشماء

كم الدم اليوناني الشريف فجنعتم كالعبيد تحت

؟

شجعان بل أبناء التراقيين. إن كان لابد من جهاد

بيل حريتنا وأن كان لابد من قتل فلنقتل ظالمينا أو

شجعان تحت سقف السماء الزرقاء وقرب الجداول

ت وسيوفنا في اكفنا! فلنمت من أجل إسبرطة.

الهولنديين الأول لبرنامبوكوان أربعين من الزنوج

في أحد مصانع بورتو كالفو ملوا حياة الذل والهوان

وفروا إلى الداخلية طلباً للحرية بعد أن استولوا على

المؤونة والذخيرة ولحق بهم غيرهم من الأرقاء

يين الهاربين من العقوبات الجسدية وانضموا إليهم

ين برناميوكو ومزرعة اتالايا فكانوا ينقضون على

رة ويعودون بغيرهم من العبيد ممن كانوا يعثرون

وا جيشاً كبيراً فنادوا بالحرية وأعلنوا الحكم

سوا عليهم أحد أبطالهم أمه زومبي وكان مشهوداً

ثم انتقوا له الوزراء والأعوان والمشترعين

هم بلغتهم الأفريقية فكان كل من ينضم إليهم من

متع بالحرية التامة ومن يقد قسراً يبق قيد العبودية.

ان سيل هذه الجيوش السوداء المحررة أخذوا

يبيعون الأسلحة والأقمشة وغيرها من الحاجات حتى

ى العشرين ألف رجل نصفهم قادر على حمل

مساحة جمهوريتهم أربعة عشر كيلو متراً طولاً بمثلها

ا سوراً منيعاً من الأشجار المقطوعة وكان لهذا

اب كبيرة متساوية ببعد الواحد عن الآخر.

لك المحلة تلة عالية كالجبل كانت لهم كبرج للمراقبة

فيها الحراسة وقد أطلق أسم بالمارس فيما بعد

طعة نظراً إلى كثرة شجر النخيل الذي غرسه الزنوج

يهم الحكومة لإخضاعهم حملات متوالية فلم تفز

ن لأرقاء كانوا يدافعون عن الحرية التي ذاقوا طعماً

ن أشبالها ويذودون عن حياضهم ذود الأبطال
م أخيراً جيشاً كامل العدة كثيرة العدد وكان المؤونة
تنفذان من معسكر الأرقاء فلما رأوا من أعلى
عدو وعدته أسقط في يدهم فلم يقاوموا إلا قليلاً لأن
ونخبه مساعديه لما رأوا الهزيمة أمراً محتماً أيقنوا
عائدون إلى العبودية المرة فضلوا الموت ليها فرموا
ساهق ذلك الجبل وقضوا نحبهم واستسلم الباقون
رنامبوكو حيث أقتسمهم رؤساء الحملة وعساكرها .

دث بثلاثة قرون وعقيب مساعٍ لا توصف وحملات
لمفكرين بالخطب والجرائد والقصائد الحماسية
نت تطوف عرض البلاد وطولها ومجادلات في
ألغيت العبودية في البرازيل وأمضت ذلك الإلغاء
في الثالث عشر من أيار سنة 1888 . جورج حسون

## ي العبودية المدنية

ية هي في حقيقتها قانون يصبح بموجبه الإنسان

ه ملك غيره ويمسي موته أو حياته في يد سيدة .

سيد والعبد على السواء: بالأول لأنها مفسدة لا خلافة

مزايا فيصبح بتأثير السيادة غضابياً وحاداً وشرساً

ن، وبالثاني لأنها تفقده مزايا الإقدام والشهامة

ح خاملاً خنوعاً ووكيلاً لا يحسن عملاً بل يدفع إلى

طاعية حيث كانت العبودية السياسية باسطة رواقها

لمدنية أخف وطأة وأهون نيراً منها في الحكومات

ن الرقيق المدني ذو الرزق المكفول من سيدة

الرقيق السياسي.

مات الملكية الراقية أو الدستورية حيث لا ضغط على
ان للوطنيين فلا مسوغ للعبودية وفي البلاد
يث الناس متساوون أو في البلاد الأرستقراطية حيث
لا تمييز فيها بين الناس فإن العبودية منافية لروح
ة للأخلاق بتقريرها سلطة ورفاهاً وتخنثاً لا موجب

ون الرق عند مشترعي الرومان

لشفقة والعطف كانا الدافعين الأكبرين على وضع
ريعته فن حقوق الإنسان تسمح باسترقاق الأسرى
والقانون المدني الروماني بأذن للمدينين الذين
دائنيهم أو يبيعوا ذواتهم أرقاء والقانون الطبيعي

يستعبد أولاد رقيق يعجز عن عولهم.

ي أقامها الشارعون والبراهين التي أدلوا بها بعيدة

واب.

طأ الفاضح القول بأن الحرب تخول الإنسان قتل

حاجة فإذا أسر الغالب المغلوب أصبح هذا في حالة

بذاك ضرراً فلم يبق موجب أو داع لقتله والبرهان

اء الأسير حياً وهو لو أضطر إلى قتله لقتل وجل ما

ن الحقوق للآسر على الأسيران يجعل الأول نفسه

ضرر الثاني . أما جرائم القتل التي يقترفها الجنود

ببرودة أو تحت تأثير فعل الهيجاء فهي من الأمور

ل الشرائع وتشجبها كل العقول .

عن التصديق أن يبيع المرء نفسه لأن البيع يصح لقاء

باع المرء نفسه أصبح هو ومقتنياته وأمواله ملك

من الذي يكون فيه قبضة عن حريته فيكون كمن باع

ار ممنوعاً تحرمه كل الشرائع لأن المنتحر يحرم

ه فكم هو أحرى أبنائه فكم هو أحرى بالمنع أن يبيع

حرية كل فرد هي جزء من حرية المجموع وفي البلاد

جزء من حرية الأمة بل أن في هذا البيع إجحافاً

معاء .

ائع تخول الناس حق اقتسام خيرات الأرض فنها لم

لك الخبرات أناساً يقتسمهم غيرهم من أمثالهم

ب أن يكونوا في عداد مقتسمي تلك الخيرات لا من

سها . وإذا كانت الشرائع المدنية تعد لغواً كل اتفاق

و غرم على أحد الفريقين المتفقين فما أحراها بإلغاء

الغبن تاماً بل قاتلاً لأحد ذيك الفريقين.

وهي أن يولد الإنسان رقيقاً وهذه تسقط بسقوط

ن وإذا كان المرء لا يملك حق بيع نفسه فكيف يقدر

ين لم يولدوا بعد. وإذا كانت الحقوق الطبيعية لا

أسير الحرب فكم بالأحرى استعباد بنيه.

ريعة تحلل قتل المجرم فما ذلك إلا لأن تلك الشريعة

ه سنت لحمايته أيضاً فالقاتل الذي بارتكاب الجريمة

ة التي تقاضيه فن تلك الشريعة حفظت كيانه ولا

هذه بالاعتراض عليها . أما في قانون الرق فإن الأمر

ك الشريعة ما كانت قط في جانب الرقيق أو لحمايته

نصوصها وبنودها ضده عكس كل الشرائع الاجتماعية.

ول أن تلك الشريعة أفادته لأنها كفلت له أسباب

الأمر كذلك ولكي تكون تلك الشريعة ذات نفع

ة عن كل غاية غير إنسانية ومنزهة عن كل منظمة

على الزمنين الذين يعجزون عن تحصيل رزقهم لكن

نوع لا يرغب فيهم حد . وإذا قيل أن في عول

ذلك مردود لأن الطبيعة التي استدرت الحليب أثداء

لأطفال أسباب القوت حتى يصبح دور مراهقتهم

سبوتهم إذ تشتد قواهم وتفتح لهم أبواب الرزق.

ر فإن العبودية منافية لروح الشرائع المدنية بقدر ما

شرائع الطبيعية.

دنية من حقوقها منع عبد من الإباق وهذا العبد بحكم

ارج عن الهيئة الاجتماعية وهو والحالة هذه بعيد عما

لشريعة ! أن الشريعة الوحيدة التي تشمله هي

والسيادة التي تسري عليه كإنسان وهو تجاهها

الذهن أن المحلل للعبودية عند بعض الشعوب كان

عادات والأزياء التي كان ينتج عنه احتقار شعب لآخر

لويس دي غومارا يقول أن الأسبان عند حلولهم

وا سلالاً كان سكان البلاد الأصليون قد وضعوا فيها

سرطان بحري وحلازين وزيزان وجراد اتخذها

لى المغلوبين وهنا يقر المؤرخ بأن على هذه الأسس

لتي خولت الأسبان حق استبعاد الأميركيين

ذا فضلاً عن تدخينهم التبغ وحلقهم لحاهم علي غير

لاختلاف في الدين أيضاً كان من أكبر العوامل على

معتنقي دين ما حق استبعاد معتنقي سواء حباً لامتداد

ن وتقوية شوكته فإن هذه الحجج كانت البرقع الذي

طون به فظاعة استعبادهم للشعوب لأن هؤلاء

ر قلوبهم وصمم اذانهم عن نداء الإنسانية كانوا يأبون

سيحيين وشديدي التقوى.

الث عشر قد حرم بتاتاً استعباد زنوج مستعمراته

ديدة الوطأة على تجار الرقيق شدته على القرصان

فذي الكلمة أقنعوه أن الغاية من العبودية هي جلب

الدين المسيحي فاقتنع وسمح بالرق.

ج

: لو كنت م دعاة استعباد الزنوج وطلب إلى الإدلاء

أن شعوب أوربا بعد أن أفنت هنود أميركا شاءت أن

فريقيا لحرث الأراضي الجديدة وزرعها فإن السكر لو

بغرس أشجاره صبح عزيزاً غالي الثمن ولكي يكثر

خص ثمنه لا بأس في أن يستعبد الإنسان أخاه

ن هناك مبررات عديدة منها أن المستبعدين ود

رسهم إلى أخمص إقدامهم فضلاً عن أنهم فطس

ر والحالة هذه الشفقة عليهم.

الله وهو الكلي الحكمة وضع نفساً – وخصوصاً نفساً

سم حالك السواد.

أن يعتقد البعض أن قيمة المرء وذكاءه هما في لون

إن المصريين وهم أعظم الشعوب القديمة وأعرقهم

سفة كانوا يقتلون كل أشقر اللون والشعر كانت

ن أيديهم.

ن على أن الزنوج ليسوا بشراً ولا فيهم حاسة الإدراك

و انهم يفضلون عقداً من الودع على طوق من

عند الشعوب المتمدنة من أثمن المعادن . فأصبح

ر هؤلاء المخلوقات بشراً مثلنا وإذا حسبناهم بشراً

لسنا مسيحيين.

ول القاصرة يبالغون في الشكوى من استعباد الزنوج

لإشفاق عليهم ولو كان كلامهم مفعماً بالحجج

لحق في جانبهم لكان تنبه لهذا الأمر ملوك أوربا

يراً ما يهتمون بالتافه من الأمور فكيف بالمهم منها

ر هؤلاء الزنوج نظرة إشفاق وحنان.

## الحقيقي

سهل في البلاد الإقطاعية أن يبيع المرء حريته فإن

سية تخنق الحرية المدنية ويقول المؤرخ بيري أن

وا يبيعون حريتهم برغبة وما ذلك إلا لأنها لم تكن

كوراً ومن دواعي العبودية في البلدان الحارة أن

الجسم وتحمل المرء على الكسل وتقتل فيه الميل

قبل عليه إلا مكرهاً خوفاً من عقاب يحل به فرأوا أن

دافع لتلك الشعوب على الكد والعمل.

ك غلط فاضح في أوربا كانوا يرون أن احتقار المناجم

ن إجراءه إلا بواسطة الرقيق أو المجرمين نظراً

وم فمن المعروف أن الفحامين والمعدنين يعيشون

قلان عن رفاه ورغد سواهم من العمال وأصحاب

ضل ما يكافأون به من الأجور وما هي لهم من

وترتيب أمور المعاش فلا عمل مهما كان شاقاً يعجز

م به اللهم أن تكون إدارة ذلك العمل ودفع أجور

فاة بين أيد منبسطة غير منقبضة ولا ضنينة وخصوصاً

الاختراعات التجارية والكهربائية التي وفرت على

كثيراً من الأشغال الشاقة التي كانوا يجبرون الرقيق

قسراً.

راك في طمسقار كانت أغنى بكثير من معادن المجر

ت تنتج أكثر من تلك بما لا يقاس وما ذاك إلا لأن

مدون فيها على الرقاء وهؤلاء العمال المأجورين.

ية على نوعين حقيقية وشخصية فالحقيقة هي ما

ق فيها مقتصراً على استغلال الحقوق وتربية

انت عند الجرمان فلم يكن لهؤلاء الأرقاء عمل في

م بل كانوا يتقون معهم على كميات معينة من

قمح والحبوب أو الأقمشة والأنعام ولم يكن لسادتهم

الحق فلا يتعدونه وبقيت هذه العبودية حتى عهد

ر وبوهيميا وألمانيا السفلى وسوريا وغيرها من

خصية هي ما كان الأرقاء فيها يقومون بخدمة

ازلهم وكثيراً ما كانت بعض الشعوب تجمع بين نوعي

قائهم وذلك منتهى لقسوة إذ كان الرقيق يشتغل في

ه وأولاده يخدمون في بيت سيدة محتملين عذابات

لا تطاق.

الإسلامية فإن السيد لم يكن فقط ذا سلطة على

له من نساء وأطفال بل كانت سلطته تمتد إلى شرف

ة فتياتها وكان ذلك من اكبر مصائب تلك البلاد واشد

قسم من أهلها سيداً مطلقاً على القسم الثاني

شاء ولا مشاحة أن هذا كان من أكبر بواعث ذلك

كسل والخمول والانحاط وكانت هذه الأمور عينها

الكسل أيضاً لأن عبيده كانوا يقومون بتدابير أموره

وهذه البطالة كانتا تجعلان قصور الشرق وسراياته

حتى للأرقاء أنفسهم الذين شيدت تلك القصور

كل ميال للكسل يجد في تلك المساكين الجميلة

صبو إليه نفسه.

العبودية فمن الواجب أن تكون في سبيل المنفعة

القسم المتعلم من الشعب على الجاهل فيشغله

إلى أن يصبح ذلك الجاهل أهلاً للقيام بتلك

مدفوعاً إليها بدافع طبيعي وهو إدراك المنفعة لا أن

**أكبر على الظلم والغاية منها اللذات الخصوصية فإن**

**شرفه هما من الأمور الخاصة به ومما لا يجب أن**

**ة سيدة مهما امتدت. وعلى ذلك نص القرآن الشريف**

**ي منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا**

**له من فضله والله واسع عليم . وليستعفف الذين لا**

**ى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما**

**فكاتبوهم أن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله**

**كرهوا فتياتكم على البغاء أن أرن تحصناً لتبتغوا**

**دنيا".**

**رية حتى يومنا هذا ضاربة أطنانها بين زنوج إفريقيا**

**ء آسيا بالرغم مما تبذله الحكومات الراقية من**

**ناء عليها وإلغائها ومحوها بتاتاً أما في روسيا فإن**

**ى بالخدمة الإجبارية إلا في عهد نقولا الأول ولم تلغ**

م نقولا الثاني عام 1861 وفي الهند الإنكليزية

18 وفي المستعمرات الفرنساوية سنة 1848 أما في

ة فإن العبودية لم تلغ إلا سنة 1865 وذلك عقيب

لتي نشبت فيها عند انتخاب إبراهيم لتكون رئيساً

لانه إلغاء العبودية ودامت تلك الحرب الضروس خمس

لايات القائلة بالعبودية والولايات المحررة انتصرت

صاراً تاماً.

شؤون شرقية

معضلة الأقلية بين الخطيب والريحاني

أمين الريحاني إلى النواب السوريين التالية التي

سورية قاطبة وقد أجابه عليها العلامة عبد القادر

رميلة الراقية ألف باء الدمشقية وأننا ناشرون هذين

ا يحومان حول موضوع الجمهورية والملكية

موضوع يهتم له النزلاء الشرقيون في البرازيل جد

سالة: حضرة الوطني الفاضل

حية والإكرام، أقدم نسخة من كتابي "النكبات" أو

سورية وأرجو أن تعطوه ساعة من وقتكم، وتحكموا

ما تستنتجوه من مطالعته كتبت هذا التاريخ بما

ؤادي من النار، وأنا في حوادثه وبما ذرفت عيناي من

لدموع لا كالشاعر بل كالمؤرخ الذي لا يدنو من

عم بكيت . وكنت كل ما انتهيت من فصل أسائل

يبدأ عهد سورية الجديد، العهد الخالي من النكبات؟

ي اليقظة وفي المنام. بل كنت استلقي، بعد العمل،

سم سورية ولبنان، مثل حزن شديد، يحرق قلبي

.

ن هذه البلاد غير الشهادة بحبي لها وتعلقي بها. وأنا

لاد غير الخلاص أولاً مما غشيها في الخمسة الآلاف

النكبات.

ي النكبة الأخيرة نكبات التاريخ؟ لست أدري. أن

يتوقف عليكم أنتم الواقفون الآن في باب عهد

عون للأمة ما يضمن خلاصها من ذلك الماضي المفجع

ركم أولاً إلى السبب الأول في الفجيعة بل إلى الأهم
ن النكبات، وأسألكم باسم الوطن، وباسم الأخوة
م العدل والحرية بل باسم الحب الذي ترويه الدموع،
م الصاد الثابت على إزالة ذلك السبب، فتضعون حجر
الأمة الجديد.

كبرى، الأمثولة المفجعة، في تاريخنا منذ خاتمة العهد
ليوم، هي في العصبيات أو الأقليات أو في الأقليات
. أما العصبيات فقد بدأت تتلاشى. وذلك في تحولها
صبية القبائل إلى عصبية العائلات التي كانت تتولى
اضي أمست اليوم كغيرها من أبناء الأمة لا يشرفها
المصالح العامة، ولا يرفعها فوق غيرها غير حبها
ة في سبيله. وأن وجودكم أيها النائب الكريم في
ع اليوم لبرهان قاطع ما أقول.

ت، وهي المعضلة التي لم تحل حلاً سديداً عادلاً منذ

ل كانت دائماً – كما ترون في التاريخ – أما مطية

يفاً بيد الفاتح وأما فريسة للمنتقين. وكانت دائماً،

ن الأحوال، ويلاً على نفسها وعلى الأكثرية في البلاد.

خلقت أو اختلقت الحمايات، ومن هذه الأقليات

التي لم تكن دائماً أصوات التعصب والافتراء والتي

في أوربة. ولا عجب. فالمسيحيون الغير السياسيين

على إخوانهم المسيحيين في هذا الشرق الأدنى.

الأوربية المسيحية سياسيون واقتصاديون وماليون

ف الأتقياء في بلادهم. هذا هو السبب السياسي

حذير من المسلمين، بل في العداء الخفي

م هناك ليثقوا بالأكثرية الحاكمة وهم حتى الآن لا

أنهم جاءوا اليوم ليحموا الأقليات. فمثله لا أنظر

قنا. والأكثرية الإسلامية لا تزال حاكمة، والأقليات لا

والمسيحيون في أوربة وأميركة، البعيدون عن

اسيين، لا يزالون يعطفون على إخوانهم المسيحيين،

لحكام المسلمين، ولا ثقة لهم بالحكام المسلمين

للغة الساذجة البريئة من الخيال والتنميق. إني

طنية، على ما عليكم. وحسبي الله.

ل كما وصفت، فالبلاد تفتعل من دور إلى دور في

لفجوع، والانتداب يظل مبرراً بأعين أصحابه ومستمراً

م كتابي مختصر تاريخ سورية واوجه إليكم هذا

حكم الجمهوري هو خير الحكام لهذه البلاد. والحكم

ون حقاً جمهورياً إلا إذا تجرد رسمياً من كل صبغة

للملكية دين رسمي يمثل بشخص الملك ومن يخلفه

ن الجمهورية التي يتغير رئيسها كل بضع سنين لا

ها دين رسمي إنما الوطن دين الجمهورية.

الجمهورية الأول والاوطد هو أن الدين لله والوطن

والخطأ الذي ارتكبه المجلس السوري التأسيسي

الدين في السياسة والأحكام . وإنكم إذا فعلتم

رطة التي أورثت الأمة تلك المشاكل المحزنة، تلك

أدت إلى هذا التدخل الأجنبي في شؤوننا.

له أن تبقوا الأديان خارج المجلس التأسيسي وخارج

ح الحكومة، وأسألكم فوق ذلك وانتم الآن من

مة أن تقدموا على العمل الذي ييزيل الريب والخوف

يحيين الغير سياسيين ويزيل الأسباب التي يتذرع

ة ليتدخلوا في شؤوننا. وأنه لي كسوري من لبنان،

ي سوري لبناني أن اطلب ذلك.

السورية، وكان من نتائجها الحسنة انتخاب هذا

سي من أبنائها الوطنيين الصادقين. وكان من

أن سياسة التعاون انجلت واستقامت فصار يرجى

الميثاق القومي.

لكم أن الميثاق القومي يظل ناقصاً ويظل فيه منافذ

سائس التي تولد الشكوى، الصادرة من أصحاب

لأقليات، إذا كنتم لا تقدمون اليوم على عمل هو أكبر

من منها بما سيثمر للسيادة القومية بل هو الثورة

قلاب الذي لا يضر بالانتداب والذي لا ينفع خصوصاً

الانقلاب في عقلية من كانوا سائدين هو الانقلاب في

زال السادة من حقوقهم الوطنية الأولى. ولكنهم في

يء منها، من أجل إخوانهم المسيحيين ينتزعون من

ريعة يتذرعون بها لحماية الأقليات.

ذن أن تولوا عليكم واحداً من الأقليات ولو لم أكن

كون مسيحياً، ولو لم تكن مسيحيتي غير مسيحية أكثر

أطلب هذا الطلب ولما كنت أفكر فيه. وإني متيقن

كم الرئيس الأول للجمهورية السورية من المسيحيين

لخطوة الأولى الكبرى إلى الاستقلال الحقيقي التام.

مين الزعماء من يستحقون ولا ريب الرئاسة وإني

ن الدكتور شهبندر والشيخ تاج الدين وإبراهيم هنانو
ي وفوزي البكري وفوزي الغزي وإحسان الجابري
فار والبرازي والخطيب والكيالي وسائر رفاقهم
ن المجاهدين في سبيل هذا الوطن العزيز وكلهم
مدركه وعاملون إنشاء الله بما تقتضيه المصلحة
حية الكبرى.

ح لذاك الانقلاب العظيم الذي ذكرت. وإن الثورة
ورة الرخيصة بأسبابها الغالية بنتائجها الثورة التي لا
جتماعية والسياسية، والتي لا تضطر دولة الانتداب
الجيوش، وتسير عليها الدبابات والطيارات، وهي التي
مسلمين على انتخاب الرئيس الأول للجمهورية من
لمسيحيين.

ك الأقليات الحجر الذي رفضه البناؤون، فخذوه انتم

س الزاوية . هناك في الأقليات أكبر رجالها. هناك

م وزميلكم الوطني المجاهد، العربي الصميم، الأستاذ

ة إلى تعداد صفاته الجمة، فهو العالم الفقيه وهو

وهو الاختصاصي بعلمي المال والاقتصاد وسائر

ة، وهو السياسي المحنك، وهو أبن المنفي – بل

سبيل الوطن. ولا أظن أن هذه الصفات كلها تجتمع

ساء الجمهوريات الأوربية أو الأمريكية.

مطامعكم الوطنية – المشروعة – في جيوبكم اليوم

اضل، وتنتخبون هذا الرجل، هذا الزعيم الكبير، الحائر

المتمتع بإعجاب الأمة واحترامها؟ إنكم إذا فعلتم

الأكبر.  ولا أظن أن حكومة الانتداب تقول : لا، إذا

أن ينتخبوا للجمهورية رئيساً مسيحياً.

ك أقول، أعتقد وأتيقن، أنه إذا كان رئيس الجمهورية

ففي عهد الرئيس الثاني أو الثالث في الأكثر – ولا

يحياً ففي عهد الرئيس الثاني أو الثالث في الأكثر –

مسيحياً كان أو مسلماً – تتم الوحدة السورية

ساحل النور وجبل النار، وتصير الجمهوريتان

أي الجمهورية السورية اللبنانية تحت ذاك الانتداب

له ومدته الذي يتفق عليه والحكومة المنتدبة.

إليه وهذا ما أطلبه منكم. وأنه ليحق لي ذلك وأنا من

الساعين في سبيل إسعادها سعياً متواصلاً، مجرداً

صوصية ومن كل مأرب شخصي . إني من أبناء هذه

منها غير الشهادة بحبهم لها وتعلقهم بها، ولا

ير الأكبر لها.

لا يكون، أيها النائب الكريم بغير التضحية الكبرى.

ى ليست بالنفوس فقط وبالمال التضحية الكبرى هي

ما هو حق أولى العلم والسيادة. التضحية الكبرى هي

كم عن رئاسة الجمهورية لأخ لكم مسيحي، لكبير من

زميلكم المجاهد الأستاذ فارس بك الخوري.

تي، هذا هو رأيي، هذه هي عقيدتي في إدارة الخير

طن.

أوربة اليوم بهذا الانقلاب في العقلية السياسية

هذا الانقلاب ليحدث انقلاباً في عقلية القوم هناك.

هم ليصدقوا ما يرون، وهم يقولون "سبقنا

فنا المسلمون، والمسلمون سابقون أن شاء الله.

ق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

لى الريحاني

ده

صميم والفيلسوف الحكيم والوطني المخلص

الناثر لازلت ظهيراً للوطن والقومية العربية.

يت بمزيد الشكر وفائق الاحترام هديتك القيمة

التك الزاهرة المنسوجة بسدى الغيرة ولحمة الإخلاص

وقدرت كاتبها حق قدره على ما يسديه إلى بني قومه

مينة الدائرة على محور التسامح ومناهضة التعصب

قليات بالمناداة بالجمهورية وانتخاب رئيسها من

ة بالنسبة إلى الأكثرية الإسلامية في سورية لنظهر

ح النفقي من شائبات التعصب حتى ندحض ما يتخذه

لينا ويستثمرون به عطف أتقياء مسيحيي المغرب

سيحي  المشرق فكن على ثقة أيها الوطني الغيور
وقناً أن توقف نجاحنا وإنقاذ بلادنا من النكبات (التي
مسة الآلاف سنة) وحل معضلة الأقليات على المناداة
تخاب رئيسها من الأقلية المسيحية لكنت أول
خبين بالرغم عن الموانع التي تبررها القاعدة
الضرورات تبيح المحظورات) لكني أراك أيها الوطني
سب قد ضربت صفحاً عن شيء ما أخال أضرابك
رمية العربية يغفلون عنه أو يغفلونه وهو أن قوام
تها الإسلامية فالقضاء على أركان الإسلامية
ي بالضرورة على جميع مقومات العربية التي تحرص
و إليها ببرهان هذه القضية المنطقية ويخيل إلى
كتبت ما كتبت نظرت بمنظار الغرب دون الشرق
أتقياء مسيحيي الغرب وصرفت النظر عن عطف
المشرق (كما ينعتهم أمثالنا بالأتقياء وينعتهم غيرنا
ذين عطفوا بقلوبهم وأموالهم على منكوبي الثورة

قلبية تناقض ما تدعون إليه فليت شعري هل يقرنا

ا عزيزي جمهور الدماشقة الذين قلدونا هذه الأمانة

ها السموات والأرض والجبال وهل يقر على ذلك أيضاً

العربية في دمشق وحلب وعلى فرض قبول جميع

ورية الداخلية فهل يرضى عنا بذلك بقية مواطنينا من

م كالساحليين والأردنيين والفلسطينيين والكليكيين

حواننا في العربية والإسلامية والجوار كالمصريين

حجازيين والنجديين واليمانيين أو في العربية

راكشيين والتونسيين وغيرهم من عرب إفريقية أو

والشرقية كالفارسيين والبخاريين والهنود والأفغان

ن والقزات والدغستان وسواد الأتراك وخلاصة القول

لاقتراح يثير حنق العالم الإسلامي علينا في شرق

غربها وشمالها وجنوبها لأن جمهور المسلمين في

ض حريصون على الاحتفاظ بشروط الإمامة في

ون إلى قطر الشام بنظر القدسية لكونه مهبط

**الأنبياء وباب بيت الله الحرام وأني أوجس خيفة أن**

**تراح الصفقتين ونعود بخفي حنين فنغضب بذلك**

**في حين لا يدري بنا أتقياء مسيحي المغرب، مثل ذلك**

**أسلم وقت استواء الشمس ومات قبل غروبها**

**دبه قائلة : لم يفجعني موته بقدر ما آلمني كونه**

**ولم يدر به محمد عليهما الصلاة والسلام.**

**تنفيذ هذا الاقتراح فيما إذا عاد علينا بنقمة جمهور**

**أنحاء الأرض بدون أن يشعر به أتقياء المسيحيين في**

**لأن السياسة القديرة على نشره في المشرق باسم**

**ادة العالم الإسلامي لهي أقدر على طيه في المغرب**

**صب المسلمين وقد أخبرنا رواد العلم في العواصم**

**ب خاصتها (ما عدا المستشرقين) لا يعلمون من**

**قليلاً فيا عجبي كيف تكون معرفة عامتهم الأتقياء**

دهم وتنشد عطفهم الموهوم فيا حبذا لو صحت

الموانع وتوفرت الأسباب فإني لا أحجم حينئذ عن

الشماس الناسك لرئاسة الجمهورية فضلاً عن

ما دام عربياً بجميع معنى الكلمة . نعم لو كان إخواننا

علينا درساً من دروس التسامح والكرم بانتخابهم

جمهوريتهم اللبنانية لكان لنا شيء من المعذرة أمام

بانتخاب مسيحي لرئاسة الجمهورية في بلاد عريقة

الفتح العمري وكانت قاعدتها عاصمة دولة بني أمية.

ك أيها الناصح الغيور أن تبدأ أولاً بالنصح لعشيرتك

ا اللبنانيين الذين يقصون عن الوظائف الجليلة

هم الداخليين أن يخففوا عن غلواء تعصبهم

مل على أصول تبادل المنافع ثم ترشدهم بعد ذلك

معراج التسامح درجة بعد درجة حتى يصعدوا إلى

العام فينتخبوا رئيساً مسلماً لجمهوريتهم المصطبغة

نصرانية إذ يجب أن تكون النصيحة للأقرب فالأقرب

لحديث الشريف (ابدأ بنفسك ثم بأخيك ثم بمن

ذلك الإرشاد بالفعل دون القول من الساحل إلى

العدوى لا بناموس الفطرة العقيمة التي يحاول

ف لبنان الكبير الذي تأبى فلسفته التذرع بما يبعث

كما يجدر بحكمته العالية أن يرسل نصيحة مطلقة من

لئلا تظهر بمظهر الدعاية الشخصية التي تنبو عنها

ه وهو فارس بك الخوري صديق المسلمين الموصوف

ه يا عزيزي من الصفات العليا وأن خبرته بالشريعة

وضعته في منتصف الطريق لتسهل على خاصة

ر من عامتهم انتخابه كما تحول دون ذلك من قبل

في بلادنا لأنه وأن كان مسيحياً فليس بجميع معنى

دها الكنائس حتى أن أخاه فائز بك القدير كان انتخابه

مين الذين أثاروا ضغن مواطنيهم من الطائفة

رومية باختياره دون غيره لهذا أرى أن نظريتك أيها

ينبغي تطبيقها فيما إذا كانت مثمرة على من ينتخبه

موازنة لبنا مع الأحبار الأقحاح بنصرانيتهم دون

اني.

رجو أيها الوطني الأمين قبول فائق احترامي "

الدولة والفرد في المذاهب السياسية

السياسة في عصرنا الحاضر، على حياتنا الاجتماعية،

منحنى من مناحيها، وتغلغلت في عقول البشرية
طرت على مفاهيم الطبقات رغم اختلاف ألوانها
رت على العدالة التي تنشدها ونحتمي بها، ولعبت في
واضطراب حبله في أيام السلم، وبعثت الحروب وما
دمير وتخريب، ووجهت أسس حياتنا وجودنا،
ة بها، واستطلاع أسرارها، ومحاولة تعرف مذاهبها،
د أن يكون طابع هذا العصر الحافل بالأحداث العظام،
ادح، الذي مازالت تعاني فيه الإنسانية أزمة من أعنف
جهوداً مضنية وتقاسي ألماً مريراً . والتفكير
ث اليوم في حالة تميع وعدم استقرار فالمسائل
لأمور التي يتناولها مثار خلاف شديد ونقاش عنيف،
تد إلى مشكلاتها الأساسية ويتسلسل إلى طرائق
ب عرضها، ولعل مصدر الصعوبة الأصلية هو ما نراه
م ونلمسه في أقطاب الساسة وزعماء الأحزاب
السياسية، من ميل شديد إلى تبسيط مذاهبهم

منهم في اكتساب المناعة لها وتقوية دعائمها

، وهم يعلمون حق العلم، بنتيجة خبرتهم المستفيضة،

عة، ويدركون بغريزتهم السياسية العلمية، أن نجاح

حركات مرهون بتبسيط فكرتها والمبالغة في تأكيدها

علانها.

فيه ولاشك أن هذه المبالغة تغض قيمة المذاهب، من

شترى وتهب ريحه إلا بهذه الطريقة، إذ أن التبسيط

إلى العقول وتمزجه بالنفوس وتنفذ به للأفئدة

عد على خلق العقلية التي تدبر به وتؤمن إيماناً لا

لا يقف عند حد.

سياسية في العالم اليوم كثرة ومراميها عدة ووجوهها

ة وتياراتها مختلفة، ولذا ليس من الميسور، بطبيعة

**لسهل استيعابها جملة في بحث واحد مقتضب، ولذا
لفائدة أن نخص موضوعنا هذا ببحث الفرد والدولة
ة متينة بالسياسة نفسها وارتباطات شديدة بروحها
بح دعامة من دعائمها الأساسية ووتد من أوتادها
ت عليها السياسة صرحها وشيدت بناءها المترامي**

**الآراء في وصف هذا العصر الحاضر وكثرة النظريات
ائصه، وتضارب الأفكار في تحديد ميزاته، بالرغم من
ها، وتبيح لنا القول بأن عصرنا هذا أشتد فيه القلق،
دت به المخاوف وساورتها الشكوك، وكثرت التجارب
الأليمة الإنسانية التي تعودت أن تنكر ما كانت تعرف
ت تألف وتعيد النظر فيما كانت تسلك من مبادئ
دون هوادة ولا تردد أسس السياسة ونظم الدولة**

ق.

، إذا أراد أن يقوم بقسط علي في توطيد الحضارة

قيم السامية، من أن يواجه القوى التي تعمل حوله،

علها ويحاول أن يستشفي عناصرها ويميز فيها الحق

رب نفسه على العمل وفق المبادئ التي يقتنع

ام بالنظريات السياسية وتجارها وآثارها وتصفح

، بلا ريب ولا شك، على الأخذ بالمبادئ السلمية

صحيحة، والعلم في أمس حاجة وأشدها إلى

عقائد الصادقة وتطبيقها في السياسة.

ان أن يقدر كرامة إنسانيته فلا يتركها في مهب رياح

ها ولا يلقي عنائها إلى أيدي المقابر تعبث بغاياتها

عمل ويدأب ليصوغ مستقبله حسب مشيئته وليكون

ويردد قول شاعرنا المتنبي:

فما قبلت عطاءه... وأراد لي فأرادت أن اتخيرا

لمية الراهنة المترامية الأطراف في كافة أصقاع

شديدة التعقيد متداخلة المشكلات ليس من السهل

اب الحقيقية التي أدت إلى حدوثها ويستخلص وجه

الحق في نارها المتأججة، فهل هي في صميمها

ة والطغيان؟ أم هي محاولة استغلال الأمم الكبيرة

مستضيفة الصغيرة؟ أو هي صراع بين المبادئ

زعات الرأسمالية؟ أو هي نزاع بين عوامل الفوضى

ة ومحاولة تنظيم حكومة عالمية من ناحية أخرى؟ أم

نزاع قوي بين الفرد والدولة وخلاف مستحكم ناجم

قات الأول بالثانية، مادامت هذه في عرف الحقوق

من الناس تعلو الحكم لتؤمن مصالح الفرد والشعب

وتدبر أموره مستعينة بذلك على السلطة التي يمنحها

سه؟

سياسية التي تسترعي النظر في عصرنا الحاضر أربعة

ازية والفاشية والشيوعية والديمقراطية ، وأن كان

ا اليوم في دور الكهولة والاندثار بعد الرحب

جميعها على المبدأ القائل، إن إرادة الدولة ومصلحتها

قي عند نقطة هامة، وهي علاقة الفرد بالدولة"

رية والشيوعية سارت، وأن شئت فقل قامت، على

ن رادة الدولة ومصلحتها فوق إرادة الفرد ومصلحته،

دها الجازم أن الفرد وسيلة من وسائل الدولة، وأداة

هو محض تجريد ولا حقيقة له إلا باندماجه في الدولة

ينما تعترف الديمقراطية بوجود الفرد وتقوم على

عمل على إعلاء، شأنه وإنماء شخصيته معتقدة أنه

فرد ورفع مستواه، ينتظم المجتمع ويزهو ويتقدم

ما هو إلا مجموعة للأفراد.

ة الدولة ومدى علاقة الفرد بتلك السيادة في طليعة

قوم حولها الجدل، ويستفيض البحث في عصرنا

ة القائلة بسيادة الدولة المطلقة تستمد قوتها من

ين من مصادر التفكير اليوناني.

لأول فهي نزعة التفكير اليونان والتي كانت ترمي

لة وحدة كلية قائمة بذاتها، مكتفية بنفسها،

تمع بأسره وقد أخذ كل من أفلاطون وأسطو بهذا

في بحوثها السياسية أن من طبيعة الدولة الاكتفاء

أن العلاقة الوحيدة بين الدولة والدول الأخرى هي

لمنافسة والكراهة المتأصلة.

قة الحكومات اليونانية بعضها ببعض قائمة على
ل وقد ردد الفيلسوف هوبز ذلك حين قال "الدول
" ومن هنا يتضح جلياً أن لا وجود البتة في التفكير
يعتبره بعض المفكرين علاقتين متمايزتين، وعلاقة
ن ناحية، وعلاقته بالنوع الإنساني من ناحية أخرى،
ة بعرف ذلك التفكير مستوعبة لجميع الأفراد،
ة على حقوقهم، ومكانتها هي المكانة السامية
ملاذ الفرد وكهف رجائه.

الثاني فهو تصور مفكري اليونان للطبيعة الإنسانية،
من تحدث منهم عن النظريات السياسية يستمسكون
هب إلى أن حقيقة الفرد هي تلك الشخصية المنفردة

رفها الفرد في تلك الحالة الخيالية الافتراضية

الطبيعة) وذلك قبل أن يدخل المجتمع ويخضع

أعباءه، وما المجتمع في رأي هؤلاء زعمهم الأبناء

قائم على تعاقد محدود دخل بموجبه الفرد إلى

حداً للحالة الطبيعية التي كان يرتع في بحبوحتها

ها، حيث لا سلطة ترهقه ولا قانون يقيده .. وهذه

يل نشوء المجتمع هي نظرية "العقد الاجتماعي".

نرى غير ذلك، ونذهب مذهباً آخر نؤمن به هو أن

عزلته عن بني الإنسان حياة غير طبيعية ولا مألوفة،

لا يسترسل نماؤها ويسير تقدمها إلا بين أحضان

تمع هو أحسن محيط يتيح للإنسان الفرصة لاختيار

مطالبه، وخير جو لحفز مواهبه وإنماء قدراته

صيته .. وما دام الإنسان مدنياً بالطبع فمن البديهي

عيش في المجتمع.

له من دولة تنظمه "فالدولة تضمن حقوق الفرد

طار الفوضى ودياجير الحرية السلبية وتخلق شخصيته

جل، الفيلسوف الألماني، على أساس هذه الفكرة بناء

الأطراف، متسق المنطق خلاصته أن القوم في

ن بحرية أصدق أثراً وأعظم وقعاً من تلك الحرية

وضى التي خلعوا ثوبها عندما غادروا حالتهم

اضية الطليقة من القانون، والحية الصادقة هي

فر بها الفرد في حدود المجتمع فهي ثمرة من

ها الخارجي القوانين المرعية، ومظهرها الداخلي تلك

قاها الفرد من المجتمع . فالدولة تعطي الفرد حرية

غيرها، وهي إنما تفعل ذلك لأن لها شخصية

مستقلة.

**سية، ولهذه الشخصية حقوقها التي تسمو فوق كل**

**ى حقوق الأفراد وذلك لأن الفرد يتلقى حقوقه**

**دولة فلا يمكن أن تكون له حقوق تتعارض مع**

**بأن الدولة مادة أخلاقية شاعرة بنفسها ويرى أن**

**بط الفرد بالدولة في كليتها الشاملة هي نفسها جزء**

**رد، فهو نبت يدها وثمرة غرسها وهو من ثم لا**

**ل في عزلة عنها، ولا يمكن أن تبعث له إرادة أو**

**جزء من إرادة الدولة ونصيب من آمالها.**

**ه أن الفرد حتى في ثورته وانتفاضه على الدولة**

ة الثورة تعد منشقة على نفسها.

ها المتسامية وق الأفراد، وما تطلبه من ولاء متصل

مرة توسع شخصيات الأفراد وتنقيها من شوائب

رة، وتنقل محرر حياة الفرد من دائرة الأثرة الضيقة

اة العامة.

وسعها أن تسيطر على حياة الأفراد نظرياً في أيام

ي أيام الحرب، وتوجههم الوجهة التي تريدها ما دامت

سط عليهم سلطانها لا يختلفون عن الأفراد الذين

لأحوال ويتقلدون السلطة، وأوامر الحكومة موحاة

حقيقية لهؤلاء الذين يطيعونها، ويلبون رغباتها حتى

رغم إرادتهم.

لتي تتصدى لحل المشكلات وتثبت للطمات، ومن

إلى الأفراد أن يضعوا حياتهم رهن تصرفها وطوع

ل : "حالة الحرب تكشف عن قوة الدولة وتبين مدى

م بطشها، والوطن حينذاك هو القوة التي تقضي

الأفراد".

دة الدولة المطلقة، على ما يبدو بها من مظاهر

ي والاتساق المنطقي، نظرية غير سليمة ولا مطابقة

نظرية خطرة لأنها تمنع الحكومات المسوغات التي

جعلها تنهج في السياسة الخارجية منهجاً غير متردد،

لأخلاق ولا أصول الآداب.

ح في نظرية سيادة الدولة هوان الدولة، تمشياً مع

تبر نفسها ممثلة للنوع الإنساني بأسره، وهو افتراض

و وإذا كان للدولة السلطة التامة والقدرة الكاملة من

لأفراد الخاضعين لها، فإنه من الأمور المسلم بها أن

كن أن ينهض إلا على افتراض أن الدولة تمثل إرادات

كون منهم الدولة.

اعد الآداب مرعية فبي علاقات الأفراد بعضهم ببعض،

يمنع العمل بمقتضاها في علاقات الدول بعضها

د السامة في فكرة تحلل الدولة من اتباع شريعة

د لسياستهم الخارجية واستهانتهم بحقوق الدول

ن اعتداء الألمان على حياد البلجيك خلال الحر

ملياً لتلك افلسفة، وكذلك مهاجمة إنكلترا لكوبنهاجن

ها الأسطول الدانماركي بحجة أن سلامة الدولة كانت

عتداء.

رغم من تسليمنا بأن الفرد في المجتمع يتمكن من
إظهار قدرته، والظفر بحريته، فإننا نقر بأن ذلك لا
حكومة قادرة على كل شيء، ولا ينفي أن الدولة
لفرد، فإن الفرد لم يوجد لأجل الدولة وسعادة
للدولة معنى أن لم تعمل على إسعاد الفرد، لأن
رضاً من أجل ذاتها ... ونحن إذا سلمنا بذلك، أتضح لنا
مذهب سيادة الدولة المطلقة من مغالطة ووضع
نصابها.

أنصار نظرية سيادة الدولة أنه ير متيسر للدولة أن
ى أنقاض حياة الفرد أو أن تستبد به وتطغى عليه لأن
هي بذاتها مصلحة الفرد وإرادة الدولة حتى في حالة
عيان هي إرادة الفرد، ولكن الحقيقة التي نراها نحن

لسيادة المطلقة تناقض فكرة الحرية الشخصية، لأنه

خلاف بين الدولة والفرد فإنه يفترض مقدماً أن

الصواب، وأن الفرد حقيق باللوم، ولا سبيل له إلى

ماع كلمته.

تطور العالم المتواصل وتقدمه السريع ونمو

ية وازدياد روابطه الاقتصادية يجعلنا لا نقف بأفكارنا

الفرد، ولا نجد في سيادة الدولة منتهى المدنية أو

إليه الإنسان من التقدم، وإنما تتطلع إلى ما وراء

جدياً تسود فيه فكرة جديدة خلاصتها "إذا سلمنا بأنه

رف الفرد أن هناك مصلحة أسمى من مصلحة

ة، فليس هناك ما يمنع من السير بذلك إلى نهايته

قوف عند فكرة أن مصلحة النوع الإنساني قاطبة فوق

فسها، وكما أن إخلاص الفرد لأسرته ولقبيلته قد

ترامت حدوده وأصبح إخلاصاً للدولة، فإنه من

اد اتساعاً وشمولاً ويصبح إخلاصاً وولاء لبني الإنسان،

يثبت أن الدولة هي أقصى مرحلة من مراحل التدرج

ولة تستمد قوتها من وجود عادات وتقاليد مشتركة

ن إلى حد كبير بالاحتفاظ بتلك العادات والتقاليد،

لمواصلات وتقوية الروابط بين الأمم، عاملاً سيترك

لمحتوم في تغير تلك العادات والتقاليد، لذا فإن

من ضرورة الاحتفاظ بالدولة واعتبارها عاملاً أصيلاً

ام واستتباب الأمن .. نقول أن العالم سيتجاوزها إلى

دولة يضمن سلامة الدولة ووقايتها من الأخطار

ات المباغتة كما ضمت الحكومة سلامة الفرد

حالته الطبيعية غير المحتملة ولا المرضية.

**في العصر الحاضر معقود بتلك الغريزة التي أوحت**

**ت الفرد إلى الحياة مع الفرد لتكوين القبيلة، وقادت**

**تماع بسائر القبائل لتكوين الأمة، وليس من البعيد**

**سير سيرنها وتتابع خطواتها وتجمع بين الأمم في**

**لشاملة حيث تبطل فكرة الدولة المنطلقة من قيود**

**جعل منظمة الأمم أمراً عديم الجدوى وضعيف الأثر.**

**-----------------------------------**

مع تحياتي ..علي مولا